OSTOUR

أسطور

دورية نصف سنوية علمية محكمة تعنى بالدراسات التاريخية
A Bi-annual Peer-reviewed Journal for Historical Studies

العدد 15 - كانون الثاني/ يناير 2022

Issue 15 - January 2022

لا تعبِّر آراء الكتَّاب بالضرورة عن اتِّجاهات يتبنَّاها "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات"

DOHA INSTITUTE FOR GRADUATE STUDIES
معهد الدوحة للدراسات العليا

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

Contents المحتويات

Received التسلم
2021-02-21

Revised التعديل
2021-10-10

Accepted القبول
2021-10-28

الرقم التعريفي: DOI: https://doi.org/10.31430/LQIT3825

محمد مرقطن | Mohammed Maraqten*

الأوبئة والجوائح في الشرق الأدنى القديم منذ أقدم العصور حتى طاعون عمواس

دراسة في تأثيراتها في العمران البشري

Epidemics and Pandemics in the Ancient Near East - From Ancient Times until the Emmaus Plague

A Study of Their Impacts on Human History

تهـدف هذه الدراسـة إلى تقديم عـرضٍ عام لتاريخ الأوبئـة في الشرق الأدنى القديـم، مع إعطاء بعـض الأمثلة من بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام وشبه الجزيرة العربية. وتعتمد على المدونات المكتوبة بالخط المسماري وباللغة السومرية والأكاديـة، وعلى نقوش أخرى من بلاد الشـام ونصـوص العهد القديم من الكتاب المقـدّس والمصادر المصرية القديمة. وتزودنـا هذه المصادر بمعلومات مهمة عـن الجوائح والأوبئة التي كانت قد انتشرت في بـلاد المشرق العربي منذ الألف الثالـث قبل الميـلاد، وكيفية تعامل الإنسـان والدولة معها. وبعد عرض صـورة عامة للأوبئة والجوائح عـبر التاريخ، تناقش الدراسـة بعضًا منها في الفترة القديمة المذكورة، ثمّ تنتقل إلى ما يسـمى جائحة جسـتنيان (541-542م) المعروفة في التاريخ العربي وبلاد الشام، من خلال استمراريتها التاريخية، بطاعون عمواس.

كلمات مفتاحية: حضارات الشرق الأدنى القديم، تاريخ الطب، الجوائح، طاعون جستنيان، طاعون عمواس.

This study documents the history of epidemics in the ancient Near East, giving some examples from Mesopotamia, the Levant, and the Arabian Peninsula. It relies on the cuneiform scripts, the Sumerian and Akkadian languages and other inscriptions from the Levant, Old Testament texts and ancient Egyptian sources. These sources provide us with important information about epidemics that have spread across the Arab Mashreq since the third millennium BC, and how people and the state dealt with them. After presenting a general picture of epidemics and pandemics throughout history, the paper discusses the ancient period, then moves on to the "Plague of Justinian" (541-542 AD), known in Arab history and the Levant through its historical continuity with the plague of Amwas.

Keywords: Ancient Near Eastern Civilizations, History of Medicine, Epidemics, Plague of Justinian, Plague of Amwas.

* باحث في جامعة مونستر وأكاديمية برلين - براندن بورغ للعلوم والإنسانيات في ألمانيا.
Research fellow at University of Münster and the Berlin-Brandenburg Academy of Sciences and Humanities, Germany.
Mohammed.maraqten@gmail.com

مقدمة

"من أراد أن يدخل مدينةً موبوءة بالطاعون، فيجب أن يُقاد إليها كحمار ثقيل الحمل" (مَثَل سومري)[1].

يُوصف الوباء Epidemic بأنّه مرض عامّ[2]، وقد وَبِئَت الْأَرْض: كَثُرَ مَرَضُها، وأمّا الجائحة Pandemic فهي الوباء العابر للبلدان الذي يعُمّ الأرض[3]. وعادة ما يوصف المرض الذي يصيب الكثير من الناس بأنّه الوباء والمرض الذي يقتل الكثير منهم بأنّه الطّاعون[4].

السؤال الرئيس لهذه الدراسة هو: ماذا نعرف عن الأوبئة في العصور القديمة؟ في البداية، لا بدّ من القول إنّ البشرية على مرّ التاريخ واجهت كوارث ماحقة، كان يجب تحمّلها من أجل البقاء على قيد الحياة. وكانت الأوبئة من أكثر المعضلات التي عانتها البشرية. وكان الطاعون من أكثر هذه الكوارث فتكًا في تاريخها. والسؤال هنا ليس عن عدد ضحايا الأوبئة فقط، بل عن الكيفية التي استطاع بها من نجوا منها إعادة بناء حياتهم والاستمرار فيها. ويتفق الباحثون على أنّ الأوبئة قد قتلت من البشر أكثر مما قتلته الحروب[5]. وكانت هذه الأوبئة وما رافقها من جفاف وسنوات المَحْل قد أدّت في العصور القديمة إلى مجاعات وهجرات جماعية كثيرة للشعوب، للبحث عن مأوى للاستمرار في العيش. وعادة ما تتطور الأوبئة عبر العصور وتتحكم في بعض المناطق، بينما يبدو أنّ الناس الذين تعرضوا لها كانوا يطوّرون أحيانًا مناعة جسدية ضدّها. وعلى الرغم من الكوارث التي تركتها الأوبئة في العصور القديمة، فإن الشعوب استطاعت غالبًا أن تنهض وتعيد ترتيب أمورها وتستمر في الحياة[6].

ومع بداية الألف الثالث قبل الميلاد وظهور المدن الكبيرة وازدياد التواصل الاجتماعي والتجاري في العالم القديم، بدأ عصر الأوبئة. ولم يكن التعامل مع بعض الأوبئة سهلًا في المدن المكتظة بالسكان مثل بابل، وكانت ذات تعداد سكاني يتعدى عشرات الآلاف. وفي العالم القديم، كانت المدن والقرى غالبًا تحتوي على أعداد ضخمة من قطعان الماشية، التي كانت أحيانًا هي مسببات للأمراض الفتاكة؛ أي الأوبئة ذات المنشأ الحيواني مثل الجدري والدفتيريا والإنفلونزا وغيرها. وكان للتجارة والسفر والحروب دور أساس في انتشار الأوبئة، ومنها الكثير من الأوبئة في بلاد ما بين النهرين ومصر. وكان الوباء الأثيني (430 ق. م.)، وجائحة الطّاعون الجستنياني (541-542م) - نسبة إلى الإمبراطور جستنيان الأول Justinian (حكم 527-565م) - من أكثر أنواع الأوبئة تدميرًا في تاريخ البشرية[7].

هناك مجموعة كبيرة من الأوبئة ذات منشأ حيواني Zoonoses، ويمكن أن تنتقل من الحيوانات البرية الأليفة إلى البشر، ومنذ بداية الألف الرابع قبل الميلاد ازداد النشاط الزراعي الريفي في الشرق الأدنى القديم، حيث يعيش الفلاحون في قرى حول المدن مع البرية والحيوانات الأليفة كالأغنام والماعز والخيول، ومن ثم يكون الاتصال بها طوال الوقت. وازداد أيضًا اتصال الإنسان بالحيوانات

---

1 "ETCSL: The Electronic Text Corpus of Sumerian Literature, Proverbs: Collection 25: c.6.1.25," accessed on 23/12/2021, at: https://bit.ly/3z1jo7v (مدونة الأدب السومري، جامعة أكسفورد)

2 ينظر: "وباء"، **معجم الدوحة التاريخي للغة العربية**، شوهد في 2021/12/23، في: https://bit.ly/2JLcJaS

3 Lawrence I. Conrad, "Tāʿūn and Wabāʾ: Conceptions of Plague and Pestilence in Early Islam," *Journal of the Economic and Social History of the Orient*, vol. 25, no. 3 (January 1982), pp. 268-307.

4 حول تعريف الوباء والجائحة، ينظر:
David M. Morens, Gregory K. Folkers & Anthony S. Fauci, "What Is a Pandemic?" *The Journal of Infectious Diseases*, vol. 200, no. 7 (October 2009), pp. 1018-1021.

5 John Aberth, *Plagues in World History* (Lanham: Rowman & Littlefield, 2011); Philip Norrie, *A History of Disease in Ancient Times: More Lethal than War* (Missoula, MA: Palgrave Macmillan, 2016).

6 William H. McNeill, *Plagues and Peoples* (New York: Anchor Books, 1998), pp. 14-131.

7 ينظر عن الأوبئة والجوائح عبر التاريخ: Stefan Winkle, *Kulturgeschichte der Seuchen* (Frechen: Komet, 1999).
ويعتبر هذا الكتاب أهم دراسة تاريخية وحضارية شاملة عن الأوبئة في العالم منذ العصور القديمة حتى نهاية القرن العشرين وأعيدت طباعته عدة مرّات.

البرية مثل الخفافيش والكلاب والقطط والذباب والإوز، والقمل، والفئران، والبعوض، والخنازير، والأرانب، والجرذان. وكانت هذه الحيوانات ناقلة لعدوى الأوبئة وتتسبب في العديد من الأمراض الحيوانية المنشأ المختلفة في الشرق الأدنى، مثل الجمرة الخبيثة والكوليرا والتيفوس[8]. وليست الملاريا مرضًا حيوانيًا على الرغم من انتقالها بوساطة البعوض. وأحد هذه الأمراض هو الطّاعون الدبلي Bubonic Plague، الذي أصاب البشرية على نحوٍ مروع وأكثر ضراوة كلما وقع السكان في شبكة مرض تنقلها الجرذان والبراغيث[9].

وتحتفظ الحضارات القديمة بمدونات تساعدنا على التعرف بعض الشيء إلى هذه الأوبئة والجوائح وإلى تأثيراتها في حياة البشر. وقد أشير إلى هذه الأوبئة بمصطلحات مختلفة في حضارات الشرق القديم، ومن العسير إسقاط المصطلحات الطبية الحديثة الخاصة بالأوبئة على المصطلحات الخاصة بالأوبئة في بلاد ما بين النهرين ومصر وحضارات اليمن القديم. وكذلك الأمر بالنسبة إلى المصطلحات اليونانية واللاتينية Plague وPestilence في العصور القديمة، فقد كانت تشير على ما يبدو إلى أي نوع من الأوبئة، وليس الطّاعون فحسب كما هو الحال في العربية عند استخدام اللفظ "وباء"[10].

ويختلف الباحثون في تاريخ الطب والأوبئة وتاريخ حضارات الشرق القديم في تحديد زمان ظهور الأوبئة ومكان انتشارها الأول. ويعتقد البعض أنّ البكتيريا Yersinia Pestilis المسببة للطاعون الدبلي كانت موجودة في الألف الثالث قبل الميلاد في سيبيريا وإستونيا وبولندا، وكانت هذه البكتيريا منتشرة في وادي النيل منذ أقدم العصور[11]. وتجدر الإشارة إلى أنّ بعض الأوبئة الفتّاكة، التي يطلق عليها الطّاعون في كثير من الدراسات العلمية، لم تكن في حقيقة الأمر هي الطّاعون المتعارف عليه اليوم طبيًا، أي الطّاعون الدبلي، لذا يجب استخدام المصطلح "وباء" للإشارة إليها. فما يسمى "طاعون أثينا" (430-427/ 426 ق. م.)، أو الطّاعون الأنطونيني (ويسميه البعض الأنطوني) وهو الجائحة أو الوباء الذي أصاب الإمبراطورية الرومانية (164-180م) كانا في حقيقة الأمر نوعين من وباء الجدري[12].

وهذا الأمر هو ما يواجهنا أيضًا في دراسة الأوبئة في حضارات الشرق القديم. فهناك مصطلحات تشير عمومًا إلى أوبئة الجلد كالجذام والجدري، وقد تشمل الطّاعون، ويختلف العلماء في تحديدها الدقيق وفي إسقاط المصطلحات الطبية الحديثة عليها[13].

وتجدر الإشارة إلى أنّ مصطلحات عربية للأوبئة ترد في اللغة الأكادية منها دَاء di᾿u، وحُمَّى ummu، وجَرَب garābû بالمعنى نفسه إلى حدّ ما[14]. إنّ دراسة المصطلحات الخاصة بالأوبئة والجوائح في العربية واللغات الساميّة بمنهجية علم اللسانيات الاجتماعية ستكون مفيدة جدًا. فالتحليل اللغوي لهذه المصطلحات وتأثيلها ودراسة الأفعال المرتبطة بها تساعدنا في فهم التجربة الإنسانية لشعوب المنطقة. فالطّاعون، مثلًا، مشتق في العربية من الثلاثي طَعَن، ومن معانيها: طعنه بالرمح وبالسيف وبالحَرْبة ونحوها؛ أيْ وَخَزه بها، وطُعِن الرجل: أي أصابه الطَّاعُون، والطَّاعُون: رماح الجن[15]. والعربية تستخدم أيضًا الأفعال زحف، وهجم، وقتل، وانتشر الطّاعون وغيرها، وإذا تراجع الطّاعون تستخدم العربية تعبير تقهقر الطّاعون، وكلها إشارات إلى عدو بجيش جرّار. وتستخدم الأكادية "أكلتهم يد الإله"

8 هناك بعض المعلومات عن انتشار الكوليرا منذ القرن الثالث قبل الميلاد، ينظر: Ibid., p. 154.

9 Peter B. Adamson, "Human Diseases and Deaths in the Ancient Near East," *Die Welt des Orients*, no. 13 (1982), p. 9; Norrie, pp. 11-12.

10 Ole J. Benedictow, *What Disease was Plague? On the Controversy over the Microbiological Identity of Plague Epidemics of the Past*, Brill's Series in the History of the Environment (Leiden: Brill, 2011), pp. 3-22.

11 Winkle, pp. 422-435; Norrie, pp. 32-36.

12 Aberth, p. 22.

13 Benedictow, pp. 3-22.

14 Adamson, pp. 5-14.

15 ينظر: "طعن"، **معجم الدوحة التاريخي للغة العربية**، شوهد في 2021/12/23، في: https://bit.ly/3eoV4Bf

أو "أكلتهم يد نيرغال (إله الطّاعون)"[16]. وفي الحضارة اليونانية، يظهر الإله أبولّو مُنقذًا للناس من الأوبئة، ويظهر كذلك وهو يحمل القوس والنشاب ليضرب العدو بالوباء، ويوصف الوباء في اليونانية أيضًا بالرمح، ويظهر الإله اليوناني أبولّو على نحو يستطيع فيه إرسال الوباء بسهامه[17].

منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي وبعد اكتشاف الكثير من النصوص المصرية والألواح المسمارية، اهتم العلماء بدراسة مجموعة من النصوص أطلقوا عليها النصوص الطبية. ركّز الباحثون في تاريخ الشرق الأدنى القديم ومصر على دراسة التاريخ الحضاري والسياسي، وركز القليل منهم على التاريخ الاقتصادي والاجتماعي. وفيما يخص الأمراض والأوبئة، ركز العلماء على نشر الوثائق الطبية، وعلى تاريخ الطب عمومًا، ولكنّ دراسات قليلة عالجت مسألة التأثيرات الاقتصادية والاجتماعية للأوبئة في مجتمعات الشرق القديم[18].

ويقدّم لنا علم دراسة الأمراض القديمة Paleopathology وعلم الآثار ودراسة الهياكل العظمية معلومات مهمة عن وفاة الأشخاص، وما إذا كانت بسبب مرض أو وباء معين أو قتل في حرب ويساعد في ذلك دراسة الحمض النووي DNA. ويعطينا علم دراسة الأمراض القديمة لمحات عن البشر فيما إذا كانوا مشوهين أو كانوا يعانون التهاب المفاصل ومضاعفاتها، مثل الأطراف المكسورة والناتجة من حوادث أو أمراض، وما إذا تمّ إصلاح هذه الأعضاء أو إجراء عملية جراحية لها، إضافة إلى تقدير عمر الهياكل العظمية ومعرفة ما إذا كان الشخص يعاني أمراضًا معينة تترك آثارها في العظام من الأنيميا أو فقر الدم أو مرض السلّ[19].

تناقش هذه الدراسة، عمومًا، الأوبئة المعروفة في الشرق الأدنى القديم من ناحية تاريخية فقط، وتشير إلى طريقة انتشارها وعواقبها على الناجين قدر الإمكان، وتركّز على العصور القديمة في بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام ومصر وشبه الجزيرة العربية. وتشير إلى بعض المصادر أو المدونات التي وثّقت هذه الكوارث، وإلى المعتقدات الدينية، وخاصة إلى دور الآلهة في حماية الناس. وعادة ما تتمّ مقارنة هذه الأوبئة بجائحة الطّاعون الأسود أو الموت الأسود أو الطّاعون الدبلي الذي انتشر خلال القرن الرابع عشر الميلادي وأهلك نحو ثلث سكان أوروبا.

أولًا: استعراض لبعض الأوبئة المعروفة في العصور القديمة

1. الجذام أو مرض هانسن

أهم أعراض الجذام Leprosy هو الطفح الجلدي، ومن الجذام نوع يسمّى النوع الورمي. والمفهوم الحديث للجذام أنه مرض يتسبب في نخر العظام وفقدان الأطراف. وكان يصيب الإنسان منذ بداية الألف الثاني قبل الميلاد[20]، وهو وباء مزمن يتطور ببطء، ولكنه وباء قد يتطور ليكون مدمرًا، وكان قد ساهم بقوة في إنهاء الإمبراطورية الحثّية وحضارات العصر البرونزي[21]. يعتقد الكثير من

16 Jeremy Black, Andrew George & Nicholas Postgate, *A Concise Dictionary of Akkadian*, Santag - 2nd ed. (Wiesbaden: Harrassowitz, 2000), p. 90.

17 Laura M. Zucconi, *Ancient Medicine: From Mesopotamia to Rome* (Grand Rapids: Eerdmans, 2019), p. 127.

18 يُنظر عن مصر القديمة: حسن كمال، **الطب المصري القديم**، ط 3 (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998)؛ وعن بلاد ما بين النهرين، يُنظر: طه باقر، **موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة العربية الإسلامية** (بغداد: مطبعة جامعة بغداد، 1980)؛ وكذلك:
JoAnn Scurlock, *Sourcebook for Ancient Mesopotamian Medicine* (Atlanta: Society of Biblical Literature, 2014).

19 Arthur C. Aufderheide & Conrado Rodriguez-Martín, *The Cambridge Encyclopedia of Human Paleopathology* (Cambridge: Cambridge University Press, 1998); Anne L. Grauer, *A Companion to Paleopathology* (London: Wiley-Blackwell, 2011).

20 Norrie, p. 12.

21 Ibid; James V. K. Wilson, "Leprosy in Ancient Mesopotamia," *Revue d'Assyriologie et d'archéologie orientale*, vol. 60, no. 1 (1966), pp. 47-58.

العلماء أنّ أصل الجذام من شرق أفريقيا، حيث انتشرت البكتيريا منذ آلاف السنين من هناك في اتجاه الشمال والشرق، ويفترض بعضهم أنّ أصل هذا الوباء من الهند[22].

وقد كثر الجدل بين العلماء حول وجود مرض الجذام في الشرق الأدنى القديم. ومع ذلك، فإنّ احتمال وجوده يبدو كبيرًا. ويذكر نص مسماري تآكل أصابع اليدين والقدمين؛ ما يشير إلى أنه وصف للجذام[23]. ونجد أيضًا ذكرًا للبقع البيضاء أو الطفح الجلدي، وربما يكون هذا للتمييز بين الشكلين الرئيسين للمرض أي بين الجذام الدرني والجذام الورمي. ويعتقد الباحثون في تاريخ الطب في العراق القديم أنّ اسم الوباء المعروف بـ "شَخَرْشُبُّو" Saḫaršubbû كان اسمًا لعدة أمراض جلدية؛ منها الجذام والبرص (نوع من الجذام) والجدري والحصبة والقباء، ويُفهم شَخَرْشُبُّو غالبًا على أنّه الجذام أو مرض هانسن[24]. وقد أُنجزت دراسات حديثة عن الطب في بلاد ما بين النهرين تحدد خمسة مصطلحات للدلالة على أمراض جلدية معدية، تذكرها الرُّقم الأكادية، يمكن أنْ يكون الجذام أحدها وهي: شَخَرْشُبُّو، وغَرَاصُو Garāṣu، وإِبْقُو Epqu، وغَرَابُو Garābu، وبُوشَانُو Būšānu[25].

لا توجد أوصاف واضحة للجذام في النصوص الطبية المصرية القديمة من خلال البرديات، ولكن علماء الدراسات المصرية القديمة حدّدوا مرضًا جلديًا وصفوه بأنّه الجذام، وهو يرد بحسب وصفهم في البرديات المصرية، ومنها بردية هيرست (نحو 1500ق. م.)، وبردية إيبرس (رقم 877)[26]. ويقول هؤلاء العلماء إنّه كان معروفًا ابتداء من العصر البرونزي الأخير في الشرق القديم أي النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، ويستمر ظهور هذا المرض في العصر الحديدي (الألف الأول قبل الميلاد). وهناك معضلة في تحديد الأمراض الجلدية المذكورة في المصادر المصرية، وإن كان المقصود بها، حقًا، هو الجذام أو مرض هانسن. ويعتقد باحثون آخرون أنّ هذا النوع من الجذام، المعروف اليوم بمرض هانسن، لم يظهر في بلاد الشام حتى الفترة الهلنستية. كان الجذام المعروف بمرض هانسن قد انتشر بسبب قوات الإسكندر الكبير (356-323 ق. م.)، ويُعتقد أنّ جنوده قد جلبوه معهم من بلاد السند في اتجاه بلاد الشام[27].

ويعتقد البعض أنّ المرض الذي يوصف في العهد القديم باسم "صرعت" tzaraʿat (لغويًا تقابل صرع في العربية) قد يكون الجذام، والبعض يعتقد أنّه البرص (سفر اللاويين: 13، 14). وعلى ما يبدو، فإنّ هذا مصطلح كان يُستخدم للإشارة إلى مجموعة متنوعة من الأمراض الجلدية ومن بينها الجذام، ومن ثمّ فمن الأفضل ترجمة المصطلح بـ "مرض جلدي"[28].

هناك إشارة إلى الجذام ذكرها المؤرخ اليوناني هيرودوتس (484-425 ق. م.) Herodotus تنص على أنّ بلاد فارس في القرن الخامس قبل الميلاد كانت تتخذ تدابير الحجر الصحي والتباعد الاجتماعي ضد ضحايا ما يسميه "المرض الأبيض"، وكان يُسمى أيضًا "المرض الفينيقي"[29]، وهو ما ذكره أبقراط (460-370 ق. م.) Hippokrates بناء على نص من القرن الخامس قبل الميلاد عن الجذام، وهذه المعلومات جاءت وفقًا لتعليق الطبيب الروماني جالينوس (121-180م) Aelius Galenus ولا توجد معلومات مفصلة عن ذلك[30].

---

22 Winkle, pp. 3-15.

23 Simon Brown & David C. Simcock, "Leprosy in Mesopotamia," *Research on History of Medicine,* vol. 1, no. 4 (2012), pp. 147-156.

24 Scurlock, pp. 432-438; Markham J. Geller, *Ancient Babylonian Medicine: Theory and Practice* (London: Wiley, 2015), p. 26.

25 Brown & Simcock, pp. 147-156.

26 كريستيانو داليو، **الطب عند الفراعنة: أمراض - وصفات طبية - خرافات ومعتقدات**، ترجمة ابتسام محمد عبد المجيد (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2013)، ص 113-116.

27 Zucconi, p. 153.

28 Warren C. Robertson, *Drought, Famine, Plague and Pestilence: Ancient Israel's Understandings of and Responses to Natural Catastrophes,* Gorgias Dissertations in Biblical Studies 45 (Piscataway: Gorgias Press, 2010), p. 35.

29 Herodotus, *The Histories of Herodotus*, Book 1, A. D. Godley (ed.) (Cambridge, MA: Cambridge University Press; London: W. Heinemann, 1975), pp. 178-179, paragraph 138.

30 Warren R. Dawson, "Herodotus as a Medical Writer," *Bulletin of the Institute of Classical Studies*, no. 33 (1986), pp. 87-96, 92.

2. الجدري

تعتبر الحكّة أهم أعراض هذا المرض الجلدي. والتاريخ المبكر للجدري Smallpox يكتنفه الغموض[31]. ولكن توجد علامات أولية على أنّ الجدري كان موجودًا في الحضارات القديمة في الشرق الأدنى ومصر[32]. ويرد الجرب في نصوص بلاد ما بين النهرين باسم Garābu ابتداء من النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد، وقد تعود الكلمة العربية "جَرَب" إلى الحضارة البابلية[33]. وجاء في بعض النصوص أنّه كان على الشخص المصاب أن يهيم على وجهه خارج أسوار المدينة؛ إذ يمنع من الدخول إليها وترفضه الآلهة[34]. وفي بلاد ما بين النهرين، جرى التعرف إلى الجدري في النصوص المسمارية التي عثر عليها في مدينة ماري[35].

وزعم بعض علماء الدراسات المصرية أنّ الجدري موصوف في بردية إيبرس (نحو 1500 ق. م.)، وأنّه قد عُثر على طفح جلدي من البثور المرتفعة على جلد ثلاث مومياوات يعود تاريخها إلى فترتي السلالات الثامنة عشرة والعشرين في الألف الثاني قبل الميلاد (بما في ذلك مومياء الفرعون رمسيس الخامس الذي مات عام 1146 ق. م.[36]، وجرى تفسير هذا الطفح الجلدي بالجدري[37]. ويُعتقد أنّ اللفظ "شهين" الوارد في العهد القديم بأنّه الجدري. وتظهر تحليلات علمية حديثة أنّ الفرعون المصري رمسيس الخامس (1149-1146 ق. م.) من الأسرة العشرين كان مصابًا بالجدري[38].

3. مرض السّل

مرض السل Tuberculosis مرض مُعدٍ، تسببه عادةً بكتيريا تُسمى Mycobacterium Tuberculosis، ولا يعرف تمامًا ما إذا كان هذا المرض قد أصاب البشر عن طريق انتقاله من البقر. والسلّ من أقدم الأوبئة التي عرفتها البشرية، ويعود ذلك إلى آلاف السنين. ويمكن أن يكون قد أصاب البشر حتى قبل ما يسميه علماء الآثار الثورة الزراعية أو ثورة العصر الحجري الحديث (الألف الثامن إلى الرابع قبل الميلاد). وتدلّ هياكل عظمية على أنّها كانت مصابة بالسلّ من عصور ما قبل التاريخ[39].

كانت أمراض الرئة معروفة في بلاد ما بين النهرين القديمة (الالتهاب الرئوي، والسلّ، والسعال الديكي)[40]. وقد وجد العلماء تسوّسًا في العمود الفقري للمومياوات المصرية التي يرجع تاريخها من 3000 إلى 2400 ق. م. وتنتج من مضاعفات السلّ. وتجدر الإشارة إلى التماثيل أو الرسوم المصرية التي تظهر منها انحناءات في الظهر، ويفسرها الباحثون بأنها من آثار السلّ[41].

---

31 Norrie, p. 12.

32 Aberth, pp. 73-87.

33 Black, George & Postgate, p. 90; Scurlock, pp. 432-438.

34 Winkle, pp. 833-840; Robertson, p. 152.

35 Brown & Simcock, pp. 147-156.

36 سنوات حكم الفراعنة تقريبية، ولا يوجد اتفاق تام بين الباحثين على تثبيتها، اعتمد الباحث هنا على دراسة أساسية في هذا الموضوع وهي:
Erik Hornung, Rolf Krauss & David A. Warburton (eds.), *Ancient Egyptian Chronology,* Handbook of Oriental Studies. Section 1 The Near and Middle East 83 (Leiden/ Boston: Brill, 2006).

37 Robertson, p. 35.

38 داليو، ص 128-130.

39 Winkle, pp. 84-98; Aberth, pp. 89-103.

40 Scurlock, pp. 480-483.

41 داليو، ص 107-112.

4. الدفتيريا

الدفتيريا Diphtheria مرض معدٍ، ويُسمى أيضًا "مرض الخُناق"، وتسببه جرثومة تسمى "جرثومة الوتدية الخناقية" Corynebacterium Diphtheriae[42]. وقد شخّص العلماء وباء يُسمى بُأْشُو buʾšānu في بلاد ما بين النهرين بأنّه الدفتيريا[43].

5. شلل الأطفال

شلل الأطفال Poliomyelitis مرض مُعدٍ فيروسي يسببه فيروس شلل الأطفال[44]. جرى تشخيص وجود شلل الأطفال في لوحات مصرية من الأسرة الثامنة عشرة نحو (1539-1292 ق. م.)[45].

6. الجمرة الخبيثة

الجمرة الخبيثة Anthrax عدوى بكتيرية، وهي عادة ما تكون قاتلة للبشر والحيوانات. وعادة ما يصيب هذا المرض البشر عن طريق استنشاق الجراثيم، والاتصال المباشر للجراثيم بالجلد أو عن طريق حيوانات مصابة. ويمكن أن يكون وباء الجمرة الخبيثة من الأوبئة العشرة التي تعرضت لها مصر كما وصفها الكتاب المقدّس؛ ما يؤكد وجود الجمرة الخبيثة في الشرق الأدنى في العصر البرونزي[46].

7. الحصبة

يعتقد الباحثون أنّ مرض الحصبة Measles قد يكون أحد الأمراض الجلدية المعروفة في بلاد ما بين النهرين باسم Saḫaršubbû والذي يعني أيضًا الجذام أو الجدري أو الحصبة[47]. والحصبة عدوى فيروسية تصيب الجهاز التنفسي العلوي والسفلي[48].

8. حمّى الإنفلونزا

حمّى الإنفلونزا Influenza من الأوبئة الأشد فتكًا في التاريخ؛ لذلك لا ينبغي الاستهانة به، وهو من الأمراض المؤثرة في حياة الناس في نهاية العصر البرونزي المتأخر (1300-1200 ق. م.) وخاصة في الإمبراطورية الحِثّيَّة، وربما كان الشرق الأدنى القديم هو أول فاشية مسجلة لإنفلونزا الطيور[49].

9. حمّى التيفويد

تنجم حمّى التيفويد Typhoid Fever عن تناول أطعمة أو مشروبات ملوثة بنوع خاص من البكتيريا، ومع ظروف الصرف الصحي السيئة التي كانت سائدة على نحو قوي في المدن في نهاية العصر البرونزي، كان من الممكن أنْ يشكّل هذا الوباء حمّى التيفويد التي يرافقها نزيف معوي والتهاب الدماغ، وغالبًا ما تؤدّي إلى الموت السريع. ويرد في حضارات ما بين النهرين أكثر من لفظ للدلالة على الحمّى، ومن

---

42 Winkle, 253-257; Norrie, p. 15.

43 ينظر عن هذا الوباء ومعالجته بالنباتات الطبية في: Scurlock, pp. 389-405.

44 Norrie, p. 14

45 داليو، ص 128-130.

46 Winkle, pp. 48-53; Norrie, p. 14.

47 Scurlock, pp. 432-438.

48 Brown & Simcock, pp. 147-156; Norrie, p. 14.

49 Aberth, pp. 111-133; Norrie, p. 14.

أهم هذه الألفاظ هو أُمّو Ummu ويقابل في اللغة العربية "حمّى"[50]. كان هناك، على ما يبدو، عدة أنواع من الحمّى منها نوع يُسمى Liʾbu[51]. وفي رسالة من ماري موجهة إلى الملك الأموري يخبرنا المرسل عن شخص أصابته ضربة شمس، ويعاني الحرارة والحمّى وترد عبارة Ḫimiṭ Ṣēti أو Ḫunṭu. وتوصف هذه الحالة الصحية بأنّ لها علاقة بضربة الشمس[52]. ويعتقد أنّ حمّى التيفويد كانت سبب طاعون أثينا (نحو 430-427/ 426 ق. م.) الذي يصنفه العلماء حاليًا بأنه الجدري، وكان قد قتل نحو ثلث سكان أثينا[53].

10. التيفوس

التيفوس Typhus مرض حيواني المنشأ، ينتقل إلى البشر عن طريق القمل. وكان هذا الوباء في العصور القديمة شائعًا بين مجموعات الأشخاص الذين كانوا يعيشون معًا، مثل الجنود في الثكنات، والبحارة في السفن والسجناء. وتتوافر معلومات موثقة عن انتشار التيفوس في بابل[54]. ويعتقد أنّ هذا الوباء كان قد دخل عن طريق أسرى الحرب المصريين إلى الإمبراطورية الحِثِّيَّة، وتسبب في ما يسمّى وباء الحثّيين (1322 ق. م.). حقًا يمكن أن يُسمّى التيفوس "حمّى التجمعات" وليس الجدري أو الطّاعون الدبلي. والتيفوس من الأوبئة الموثّقة في بلاد الأناضول في فترة المستعمرات الآشورية القديمة في النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد. ويعتقد بعض الباحثين أن التيفوس هو المرض الذي سُمّي وباء الفلستين، والذي انتشر في الساحل الفلسطيني في بداية الألف الأول قبل الميلاد[55].

11. ملاريا

الملاريا Malaria مرض مُعدٍ، تسببه طفيليات البلازموديوم P. falciparum malaria التي تدخل مجرى الدم في الجسم عن طريق لدغة البعوض. وتصيب الملاريا البشر منذ آلاف السنين. ومن أهم أعراضه الحمّى والصداع. وكانت الملاريا معروفة في بلاد ما بين النهرين، وقد تمّ التعرف إلى أعراض الملاريا الدماغية من خلال النصوص المسمارية المكتشفة في بلاد ما بين النهرين[56].

وبعض الدراسات التي أجريت على المومياء المصرية قد أثبتت وجود الملاريا في عصر الدولة المصرية الحديثة (1550-1077 ق. م.). وتوجد إشارات إلى أنّ الملاريا كانت منتشرة في مصر وفلسطين نحو 1200 قبل الميلاد[57]. وتجدر الإشارة إلى أنّ الوقاية من الملاريا في مصر القديمة كانت معروفة، ومنها استخدام الناموسيات أثناء النوم[58]. وتؤكد هذا عبارة ذكر هيرودوتس أنّها مكتوبة على واجهة أحد المعابد المصرية تذكر الوقاية: "لا تخرج من البيت بعد غروب الشمس في الأسابيع التي تعقب فيضان النيل"[59].

---

50 Black, George & Postgate, p. 422; Geller, *Ancient Babylonian Medicine*, pp. 70-73.

51 Scurlock, pp. 675-683; Geller, *Ancient Babylonian Medicine*, p. 63.

52 Geller, *Ancient Babylonian Medicine*, pp. 26, 63, 86.

53 Norrie, p. 15; J. N. Hays, *Epidemics and Pandemics: Their Impacts on Human History* (Santa Barbara: ABC-CLIO, 2005), pp. 1-8.

54 Winkle, pp. 619-627.

55 Ibid., pp. 341-355.

56 Scurlock, p. 531.

57 Norrie, p. 14.

58 داليو، ص 125-128.

59 Joseph P. Byrne, *Encyclopedia of Pestilence, Pandemics, and Plagues*, vol. 2 (London: Greenwood Press, 2008), p. 357.

وفسّر بعض الباحثين الوباء الذي ضرب أثينا بأنّه الملاريا[60]. وحدث الوباء الأثيني في عام 430 ق. م. خلال الحرب البيلوبونيسية، التي دارت بين أثينا وإسبارطة (431-404 ق. م.)، ويطلق عليها أحيانًا "الطّاعُون الأثيني". وكان لهذا الوباء حركات ارتدادية في الأعوام 429 و427/ 426 ق. م. وبسبب الازدحام الشديد في زمن الحرب في المدينة، انتشر هذا الوباء بسرعة؛ ما أسفر عن مقتل عشرات الآلاف. وقد تسبب مقتل الكثير من الأثينيين في انتصار إسبارطة. والمصدر الوحيد الباقي للطاعون الأثيني هو الرواية المباشرة للمؤرخ اليوناني ثيوسيديدس (460-400 ق. م.) Thucydides في كتابه **تاريخ الحرب البيلوبونيسية** *History of the Peloponnesian War*. ويذكر أحد مؤرخي الأوبئة أنّ الوباء قد بدأ بانتشار الجدري عن طريق التجارة البحرية، ثم تحول في مرحلة أخرى إلى التيفوس[61]. وكانت الملاريا قد ضربت شرق البحر الأبيض المتوسط وروما في القرن الخامس قبل الميلاد[62].

12. الديزنطاريا (الزّحَار)

الزحار Dysentery هو التهاب في القولون يسبب الإسهال الشديد والنزيف من الأمعاء وارتفاعًا في درجة الحرارة، وفي النهاية يؤدّي إلى جفاف قاتل. ولعل ظروف الصرف الصحي السيئة في التجمعات الكثيفة السكان في الشرق الأدنى القديم (نحو 1200 ق. م.)، ساعدت في انتشار هذا الوباء[63].

ثانيًا: ماذا نعرف عن الأوبئة في الشرق الأدنى القديم؟

1. الأوبئة في بلاد ما بين النهرين

أ. عن طبيعة الأوبئة في بلاد ما بين النهرين

في البداية، هذه إشارة إلى مصادر دراسة الأوبئة في الشرق الأدنى القديم. وتوجد عدة أرشيفات من الرُّقم الطينية مكتوبة بالمسمارية وباللغة السومرية والأكادية (البابلية الآشورية)، تُزوّدنا بمعلومات عن الأمراض الوبائية في الشرق الأدنى القديم من بداية الألف الثالث قبل الميلاد، وتزداد هذه المعلومات في الألف الثاني قبل الميلاد[64]. ومن بين الكوارث المذكورة في "ملحمة غلغامش" ما ناقشته الآلهة حول مسألة الطوفان، حيث ذُكر الطّاعون في العبارة التالية: "بدلًا من تسبّبك في الطوفان، كان من الممكن أن يقوم إله الطّاعون ويذبح الأرض"[65]. ويرد الطاعون في ملحمة الطوفان البابلية أتْرا خَاسِيس البابلية Atra-Ḫasīs من القرن الثامن عشر قبل الميلاد،

60 Philip van der Eijk, "An Episode in the Historiography of Malaria in the Ancient World," in: Demetrios Michaelides (ed.), *Medicine and Healing in the Ancient Mediterranean World* (Oxford: Oxbow Books, 2014), pp. 112-117.

61 Winkle, pp. 633-627.

62 Hays, pp. 9-15.

63 Norrie, p. 15.

64 عن النصوص الطبية ودراستها في بلاد ما بين النهرين ينظر:
Nils P. Heeßel, "Medizinische Texte aus dem Alten Mesopotamien," in: Annette Imhausen & Tanja Pommerening (eds.), *Translating Writings of Early Scholars in the Ancient Near East, Egypt, Greece and Rome: Methodological Aspects with Examples*, Beiträge zur Altertumskunde, Bd. 344 (Berlin: de Gruyter, 2016), pp. 17-73.

65 Andrew George, *The Epic of Gilgamesh: A New Translation* (Harmondsworth/Middlesex: Penguin, 2000), p. 95.

حيث تتدخل الآلهة ومنهم إنليل في الحديث عن مصير البشرية، وكان الحديث يدور حول تقليص عدد البشر، وقررت الآلهة استخدام المجاعة ثمّ الجفاف ثمّ الطّاعون لتحقيق هذا الهدف[66].

وضمن المادة المكتوبة على الطين بالخط المسماري من ممالك بلاد ما بين النهرين كافة، يوجد نحو ثلاثين ألفًا من الألواح الطينية المكتوبة بالمسمارية والمتعلقة بالنواحي الطبية، ومن بينها نحو ألف لوح طيني من مكتبة الملك الآشوري آشوربانيبال (669-627 ق. م.) تعود إلى القرن السابع قبل الميلاد، تمّ تصنيفها نصوصًا طبية، وهي تحتوي على تشخيصات وتنبؤات وعلاجات ومكوناتها النباتية والمعدنية، وتشكّل جزءًا من التقاليد الطبية السومرية والبابلية، وتعود في أصولها إلى فترات قديمة، قام باستنساخها آشوربانيبال ووضعها في مكتبته[67].

يُشار إلى الوباء في اللغة الأكادية عادة بـمصطلح "يد الإله"، وأحيانًا "يد الإله نيرغال"، أي إن الإله مسؤول عن انتشار ذلك الداء، وفي أحيان أخرى يُستخدم المصطلح Ikultu Ilīm "وَجْبَة أو التهام الآلهة؛ الطّاعون"[68]. وتتوافر معلومات جيدة عن أسماء الأمراض والأوبئة في بلاد ما بين النهرين من المدونات المسمارية[69]. وتذكر هذه الوثائق مجموعة من المصطلحات للدلالة على الأوبئة، وعادة ما تفهم أنّها مرض مُعدٍ، وتترجمها اللغات الأجنبية ومنها الإنكليزية عادة بـ Epidemic, Plague. وقد ذكرنا أنّ في إسقاط المصطلحات الطبية الحديثة عليها صعوبةً. وعادة ما يفهم تحت المصطلح Mūtānu الطّاعون[70]. ومن المصطلحات الشائعة للإشارة إلى الوباء أو الطّاعون في الأكادية اللفظ شِبْطُو Šibṭu وكذلك اللفظ Šuruppu[71].

ب. الأوبئة في بلاد السومريين

ضرب الطّاعون جنوب بلاد ما بين النهرين في العصر البابلي القديم وتحديدًا مدينة لارسا. هناك وثيقة كتبت باللغة السومرية من مدينة لارسا جنوب العراق تصف حالة وباء ضرب المدينة نحو 1780 ق. م. ويخبرنا بذلك أحد الملوك السومريين ويدعى سين-إدِّنام Sîn-iddinam (نحو 1792-1750 ق. م.)، حيث يتقدّم بصلاة إلى الإله أوتو (شماش)، ويصف الوباء في صلاته ويتوسل إلى الإله شماش لإنهاء الوباء الذي ابتليت به مدينته لارسا منذ سبع سنوات. ويصف الملك مدينته بأنّ فيها شوارع واسعة، والآن فارغة وصامتة. ويصف الملك نفسه بأنّه "رجل صالح". وعلى عكس أعدائه فإنّه يحترم الآلهة ويؤدي الشعائر الدينية. ويتوسّل ويقول: "لا أفهم لماذا ضربه الإله شماش، إله العدل بهذا الوباء"[72].

66 Wilfred G. Lambert & Alan R. Millard, *Atra-Ḫasīs: The Babylonian Story of the Flood* (Oxford: Oxford University Press, 1969), pp. 9-10, 107.

67 عن الطب في العراق القديم ينظر: باقر.

68 Black, George & Postgate, p. 420.

69 Scurlock.

70 Marten Stol, "Pest," in: Michael P. Streck (ed.), *Reallexikon der Assyriologie und Vorderasiatischen Archäologie,* vol. 10 (Berlin: De Gruyter, 2003), p. 436.

71 Black, George & Postgate, pp. 224, 370; Daniel C. Snell, "Plagues and Peoples in Mesopotamia," *Journal of the Ancient Near Eastern Society*, vol. 14, no. 2 (1982, Published in 1985), pp. 89-96.

72 William W. Hallo, *The World's Oldest Literature: Studies in Sumerian Belles-Lettres*, Culture and History of the Ancient Near East, vol. 35 (Leiden: Brill, 2010), pp. 357-359.

ج. الأوبئة في مدينة ماري

لدينا مادة مهمة عن الأوبئة من أرشيف مدينة ماري (تل الحريري) على نهر الفرات إلى الغرب من البوكمال في سورية، وهي حاضرة الدولة الأمورية في القرن الثامن عشر قبل الميلاد ويُطلق على وباء مدينة ماري في أرشيف ماري اسم "يد الإله" أو "موتانو" أو "التِهام الإله"[73].

وتخبرنا رسائل عديدة بعثها إلى الملوك موظفون في الدولة الأمورية، خلال القرن الثامن عشر قبل الميلاد، عن مدى إدراكهم خطر انتشار الأوبئة، وعن تركيزهم على الحجر الصحي المنظّم في كل القرى والمدن المتضررة بذلك. وكشفت هذه الرسائل الملكية من ماري عن وباءين قاتلين على الأقل، كانا قد ضربا مناطق أعالي الفرات خلال عهد الملك يَسْمَخ-أَدُّو (نحو 1795-1775 ق. م.)، وزيمري ليم (نحو 1775-1760 ق. م.)[74]. وتسجل رسالتان من شخص يدعى لاوم إلى يَسْمَخ-أَدُّو علامات الوباء، وفي إحداهما يَرد: "حول 'التهام الإله' [...] مدينة تُوتُول، هاجمها الوباء [...] أمّا في مدينة دَنُّوم [...] كوم من الجُثث، وفي غضون يومين، مات نحو 20 شخصًا. هَجرها أهلها، الدَنُّيّون هربوا إلى جبل لَسْقُم، وفيما يخص مدينة ماري نفسها فهي آمنة. الأرض آمنة"[75].

كما ورد في رسالة أخرى من ماري: "في مدينة تُوتُول هناك وباء ولكن عدد الموتى قليل. أعطيت 20 قاربًا صغيرًا للشروع في إجلاء المصابين بالوباء. ثم أدركت أنّ عدد المصابين الموجودين بينهم كبير جدًا. وأدركت عدم قدرة تلك القوارب الصغيرة على إجلائهم، لذلك أعطيتهم زورقين كبيرين من أجل إجلائهم"[76].

وفي مدينة ماري يصف مسؤول كبير الوضع للملك كالتالي: "الإله ينشر العدوى في 'المنطقة العليا'، ومررت هناك على عَجَل. وأُوصي بالتالي: يجب أنْ يُعطي سيدي الأوامر، أنّه يجب على سكان أي مدينة مصابة بالوباء عدم الدخول إلى المدن غير المصابة. أخشى أن يصيبوا 'البلاد' كلها. وهناك خطّة لسيدي (الملك) للتحرك إلى المنطقة العليا، يجب أنْ يتوقف سيدي (الملك) في (مدينة) تِرْقا، ويجب عليه ألا ينتقل إلى (مدينة) سَاغَاراتوم، الأرض مصابة"[77].

ورسالة أخرى يخبر فيها الملك الأموري زوجته بشأن امرأة من نساء القصر أصابها وباء: "لقد سمعت أنّ (المرأة المُسمّاة) نَانَا مصابة بعدوى (سيموم)، وبما أنّها كثيرًا ما تكون في القصر، فإنّها ستنقل العدوى إلى العديد من النساء هناك. الآن أُصدر أوامر صارمة: لا يشرب أحد من الكأس التي تستخدمها، لا يجلس أحد على المقعد الذي تجلس عليه، لا يستلقي أحد على السرير الذي تنام عليه، لئلا يصيب الوباء العديد من النساء اللواتي معها في القصر. هذا وباء مُعد جدًا!"[78].

---

73 Graciela G. Singer, "Beyond Amarna: The 'Hand of Nergal' and the Plague in the Levant," *Ugarit Forschungen*, vol. 48 (2017), pp. 223-247.

74 Royal Archive of Mari (ARM) Tablet 26, 17, 259-261, 263-265, See: Wolfgang Heimpel, *Letters to the King of Mari: A New Translation, with Historical Introduction, Notes, and Commentary*, Mesopotamian Civilizations 12 (Winona Lake: Eisenbrauns, 2003); Jack M. Sasson, *From the Mari Archives: An Anthology of Old Babylonian Letters* (Winona Lake: Eisenbrauns, 2015).

75 Heimpel, p. 277, letter no. 26 259.

76 Ibid., p. 281, Letter no. 26 274.

77 Ibid., p. 185, Text no. 26 18.

78 Sasson, p. 331, letter no. ARM 10 129.

وتعتبر الإلهة غولا Gula ذات أهمية خاصة في بلاد ما بين النهرين، إلهة للسلامة والشفاء، وكان حيوانها المقدس الكلب، ونجد ذلك مرافقًا لها في الرسوم والمنحوتات، ويعتقد أن لعاب الكلب كان يستخدم في شفاء بعض الأمراض الجلدية(86). وكان نِرْغال إله الطّاعون في بلاد الرافدين، وفي الأصل كان هناك إلهان متميزان، هما نِرْغال وإيرا، اندمجا مع مرور الوقت في شخصية الإله نِرْغال الذي كان يتحكم في حرائق الغابات والحمّى والأوبئة. وأمّا رسول الإله نِرْغال فكان يسمّى نمارتو Namtaru وهو "شيطان الطّاعون"(87).

2. أوبئة بلاد الشام

لدينا معلومات مهمّة عن الأوبئة في بلاد الشام في الألف الثاني والأول قبل الميلاد(88). ومنها ما تمّ العثور عليه في أوغاريت الواقعة على الساحل السوري قرب اللاذقية، وهي تعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد(89). وتعتبر رسائل تل العمارنة من أهم المصادر لدراسة تاريخ الأوبئة في بلاد الشام، وهذه الرسائل مكتوبة باللغة الأكادية، لغة التواصل الدولي في ذلك الزمن، وتعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الرسائل قام بإرسالها ملوك بابل والحِثّيّين وقبرص، والأمراء المحليون من بلاد الشام إلى كل من الفرعون المصري أمنحوتب الثالث (نحو1390-1353 ق. م.) وأمنحوتب الرابع المسمى أخناتون (1353-1336 ق. م.)، وعدد هذه الرسائل يبلغ نحو 400 رسالة، وجدت في عاصمة أخناتون تل العمارنة في صعيد مصر. ولدينا أربع من رسائل تل العمارنة تخبرنا بأنّ الوباء (الطّاعون) قد اجتاح بلاد كنعان(90). ويسجّل العهد القديم الأوبئة التي ألقى بها الرب يهوه على مصر الفرعونية والتي تسمى بالأوبئة المصرية(91).

وفي إحدى رسائل تل العمارنة، يخبرنا ملك ألاشيا (قبرص) عن سبب صغر كمية النحاس التي أرسلها إلى الفرعون المصري بقوله: "هي هنا يد الإله نِرْغال (وباء) الآن في بلدي، هو يقتل كل رجال بلادي، ولا يوجد عامل نحاس واحد"(92). وفي رسالة أرسلها رِبْ أدّا ملك مدينة بيبلوس (جبيل) في لبنان، يقول فيها: "لن أسمح للرجال من مدينة صَمُور بالدخول إلى مدينتي، هناك وباء في مدينة صَمُور"(93). وفي رسالة أخرى يرسلها أمير منطقة أمُورّو إلى الفرعون المصري يقول فيها: "ليس لدينا ما نأكله، عندنا مجاعة، أرسل إلينا قمحًا بسرعة"(94).

---

86 Black, George & Postgate, p. 101.

87 Jeremy A. Black & Anthony Green, *Gods, Demons, and Symbols of Ancient Mesopotamia: An Illustrated Dictionary* (London: British Museum Press, 1992), pp. 134, 136-137.

88 Singer, pp. 223-247.

89 Robert B. Stieglitz, "A Physicians Equipment List from Ugarit," *Journal of Cuneiform Studies*, vol. 33, no. 1 (January 1981), pp. 5-52.

90 هذه هي الرسائل الموسومة EA 11, 35, 96, and 932، ينظر ترجمة الرسائل في:
William L. Moran, *The Amarna Letters* (Baltimore: Johns Hopkins University Press,1992); Anson F. Rainey, *The El-Amarna Correspondence: A New Edition of The Cuneiform Letters from The Site of El-Amarna Based on Collations of All Extant Tablets*, William M. Schniedewind & Zipora Cochavi-Rainey (eds.), Handbook of Oriental Studies, vol. 110 (Leiden: Brill, 2015).

91 Max Sussman, "Sickness and Disease," in: David N. Freedman (ed.), *The Anchor Bible Dictionary*, vol. 6 (New York: Doubleday, 1992), pp. 6–15.

92 Moran, letter EA 35, p. 107.

93 Ibid., letter EA 362, p. 360.

94 Ibid., letter EA EA 85, p. 156.

وفي رسالة أرسلها بريديًا حاكم مدينة مَجِدُّو في شمال فلسطين الواقعة قرب حيفا إلى الفرعون المصري أخناتون (1353-1336 ق. م.) المقيم في عاصمته تل العمارنة طلب فيها مساعدة: "انظر؛ المدينة يلتهمها الوباء"[95]. وأمّا إله الطّاعون والسلامة عند الكنعانيين والذي يرد في هذه الرسائل فكان يسمى الإله ريشف، ويقابل الإله نِرْغال[96].

3. الأوبئة في مصر القديمة

كان معظم الأوبئة المذكورة سابقًا معروفًا في مصر القديمة. وتشتمل المصادر المصرية على معلومات مهمة عن الأمراض والأوبئة في مصر. ويظهر أقدم دليل مكتوب عن الطب في ورق البردي من الألف الثاني، ومنها بردية إيبرس (نحو 1550 ق. م.) وهي وثيقة طبية رئيسة، يبلغ طولها أكثر من عشرين مترًا، وتذكر الوثيقة عشرات الأمراض ووصفات لعلاجها بما في ذلك التعاويذ والتمائم[97].

واستخدمت الطرق الحديثة لدراسة الطب في مصر القديمة، فمن خلال تحليل الحمض النووي لمومياوات مصرية من أواخر العصر البرونزي المتأخر (1300-1200 ق. م.) تمّ الكشف عن الكثير من حالات الإصابة بالملاريا التي شملت العديد من أفراد الطبقة الحاكمة؛ ما يشير إلى انتشار واسع لهذا الوباء في مصر. ومع ذلك، فإنّ الانتشار الدقيق للملاريا في العصور القديمة في الشرق الأدنى القديم، ودوره في التحولات الثقافية والسياسية في نهاية العصر البرونزي المتأخر، لا يزالان في حاجة إلى كثير من البحث[98].

وتوثّق رسائل تل العمارنة انتشار الأوبئة في الشرق الأدنى القديم وبلاد الحِثِّيِّين ومصر. ووفقًا للرسالة EA 11 من رسائل تل العمارنة، والتي أرسلها الملك البابلي بورنابورياش الثاني (1359-1333 ق. م.) Burnaburiash إلى الفرعون المصري أمنحوتب الرابع (أخناتون) (1353-1336 ق. م.)، فإنّ أخناتون كان قد أعلم الملك البابلي بأنّ زوجة أبيه أمنحوتب الثالث (نحو1390-1353 ق. م.) قد توفيت بالوباء، وكذلك الأمر بالنسبة إلى المرأة البابلية التي كان قد أرسلها الملك البابلي إلى أمنحوتب الثالث ضمن علاقات الزواج الملكي، ويفهم من الرسالة أنّ أخناتون يطلب من الملك البابلي بورنابورياش أنْ يرسل إليه امرأة بابلية كي يتزوجها[99]. وعادة الزواج بين الأسر الملكية معروفة في الشرق القديم[100].

وتذكر المصادر المصرية استخدام السحر في العلاجات الطبية على نحو واسع. ومن ضمنها التوصية بالتمائم، وعادة ما اشتملت العلاجات على التعاويذ والأدعية، وتخبرنا بردية إيبرس عن 15 مرضًا باطنيًا، و29 من أمراض العيون، و18 من الأمراض الجلدية، وتسرد لنا البردية ما لا يقل عن 21 علاجًا للسعال. ويشار إلى نحو 700 دواء و800 خلطة دواء، معظمها أعشاب، وكذلك علاجات مصنوعة من المعادن، وأخرى متخذة من الحيوانات. واعتمد الطب المصري كما هو الحال في بلاد ما بين النهرين كثيرًا على الأدوية المصنعة من

---

95 Ibid., letter EA 244, pp. 298-299.

96 Rainey, p. 18.

97 وأمّا عن مصر القديمة فينظر: كمال؛ داليو. والدراسات الحديثة عن الطب والأوبئة في مصر القديمة موجودة باللغات الأجنبية، ومنها:
John F. Nunn, *Ancient Egyptian Medicine* (London: British Museum, 2006 [1996]).

98 Nicole Elizabeth Smith, *The Paleoepidemiology of Malaria in the Ancient Near East* (Arkansas: University of Arkansas, 2015).

99 يبدو أنّ الوباء الذي قتل امرأة أمنحوتب الثالث كان الطاعون الدبلي، ينظر:
Arielle P. Kozloff, *Amenhotep III: Egypt's Radiant Pharaoh* (Cambridge: Cambridge University Press, 2012), p. 138.

100 Moran, p. 170; Rainey, vol. 2, p. 541; Singer, p. 227.

النباتات ومنها المُرّ، واللبان والسنا وزيت الخروع وغيرها، وكانت الصلوات والتعاويذ والوصفات السحرية ترافق العلاجات[101]. وتجدر الإشارة إلى أنّ المعبودة المصرية القديمة سخميت Sekhmet كانت إلهة للسلامة والطّاعون[102].

4. الأوبئة في الإمبراطورية الحِثّيَّة

وتتوافر معلومات مهمّة عن الأوبئة في الدولة الحِثّيَّة التي كانت قد تمركزت في آسيا الصغرى في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، من الكتابات الحِثّيَّة نفسها وخاصة الصلوات، إضافة إلى رسائل تل العمارنة[103]. وبطبيعة الحال، ما يلي سنوات الجفاف هو المجاعة وعادةً الأوبئة. وكانت بين الملك الحِثّي والفرعون المصري مراسلات حول شحنات الحبوب العاجلة إلى حتوشا، كما ورد في رسائل تل العمارنة[104].

ولعل أهم المعلومات التي وصلتنا هي تلك الصلوات باللغة الحِثّيَّة وبالخط المسماري، والتي قام بها الملوك الحِثّيّون للتخلص من الأوبئة أو للحماية منها. ونشير هنا إلى بعضها، ففي صلاة من الملك الحِثّي مورسيلي الثاني (نحو 1318-1290 ق. م.) Mursili II يبتهل فيها ويستغيث بإله العاصفة الحِثّي، ويقول: "يا ربي، ويا آلهة بلاد الحِثّيّين، يا سادة، أنا مورسيلي عبدك، ها أنا أتكلم وأبتهل لك قائلًا: يا إله العاصفة في بلاد الحِثّيّين وأيتها الآلهة السادة: ما هذا الذي فعلتموه؟ لقد تركتم الطّاعون يجتاح بلاد الحِثّيّين". لقد تعرضت بلاد الحِثّيّين لقمع شديد بسبب الطّاعون. وفي صلاة ثانية، يَرد أنّ الآلهة الحِثّيّة قد سمحت لهذا الوباء الرهيب بالسيطرة على البلاد، وفي صلاته الثالثة، يتوسل الملك ويستغيث بالآلهة لوضع حد للوباء: "لقد سمحت الآلهة للوباء بأن يضرب بلاد الحِثّيّين، وأن تتعرض بلاد الحِثّيّين للضرب المبرح من الطّاعون، هذه هي السنة العشرون التي يعيش فيها الناس تحت وطأة الطّاعون، لقد مات الناس في بلاد الحِثّيّين". ويتهم مورسيلي الثاني والده بالمسؤولية عن الطّاعون ويقول إنّ خطيئته أثارت غضب الآلهة علينا[105].

5. الأوبئة في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام

منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد، جرى الكشف، في جنوب غرب الجزيرة العربية وخاصة في اليمن، عن آلاف النقوش مكتوبة بخط المسند على المواد الصلبة كالحجر والبرونز. وحديثًا جرى الكشف عن نقوش مكتوبة بخط نسخي يُسمى خط الزبور على الخشب وخاصة عسيب النخل. واتفق العلماء على تسمية لغتها بالعربية الجنوبية تمييزًا لها من العربية الشمالية ومنها السبئية والمعينية والقتبانية[106]. وتشكّل هذه الكتابات المادة الأساسية لدراسة حضارة المنطقة. وتخبرنا النقوش العربية الجنوبية عن العديد من الأوبئة التي كانت قد اكتسحت البلاد وفتكت بالكثير من الناس في زمن ما بين القرن الثاني إلى القرن السادس الميلاديين[107]. وهناك أكثر من مئة نقش سبئي من نقوش التقدمات والقرابين، وخاصة التي اكتشفت في معبد أوام أو محرم بلقيس الواقع بالقرب من مدينة مأرب شرق

101 ينظر: ليز مانكه، **التداوي بالأعشاب في مصر القديمة**، ترجمة أحمد زهير أمين ومحمود ماهر طه (القاهرة: مكتبة مدبولي، 2008).

102 عن دور الأوبئة في انهيار الإمبراطورية المصرية في نهاية العصر البرونزي الأخير، ينظر:
Norrie, pp. 17-36; Aberth, pp. 595-597.

103 ينظر عن الأوبئة في بلاد الحثيين: Zucconi, pp. 165-190.

104 Moran, letters EA 41-44, pp. 114-117.

105 ينظر ترجمة هذه باللغة الإنكليزية في:
Gary Beckman, "Plague Prayers of Muršili II," in: William W. Hallo, *Context of Scripture,* vol. 1 (Leiden: Brill, 1997), pp. 156-160.

106 عن حضارات اليمن القديم ينظر: كرستيان روبان وبوركهارد وفوغت (محررون)، **اليمن: في بلاد مملكة سبأ** (باريس: معهد العالم العربي، 1999).

107 Christian Robin, "Guerre et épidémie dans les royaumes d'Arabie du sud, d'après une inscription datée (IIe siècle de l'ère chrétienne)," *Comptes rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, 136ème année, no. 1 (January-March 1992), pp. 215-234.

اليمن. وتذكر النقوش الأمراض والأوبئة، وتشير إلى الذين قدّموا قرابين للآلهة بعد سلامتهم من مرض أو من وباء معين. وكانت هذه القرابين قد قدّمت شكرًا لشفائهم من تلك الأمراض. ويذكرون تلك الأمراض أو الأوبئة بالاسم، ومن أسماء الأوبئة "عوس" و"موت" و"خبط" و"خمط"، وهي ترد في النقوش السبئية بمعنى الطّاعون الدبلي[108].

ويرد اللفظ "عوس" للدلالة على جائحة جستنيان والتي وصلت اليمن في عام 549م، ونعرف ذلك من خلال نقش الملك الحبشي أبرهة والذي وضعه في احتفالية إعادة ترميم سد مأرب في ذلك العام، وعثر عليه في منطقة السد، وذكر فيه أعمال الترميم ومن ضمنها الوضع الصحي: "وعندما بدؤوا في إعادة ترميم السد انتشر الوباء والطّاعون بين القبائل في المدينة (مأرب)"، ثمّ يضيف النقش: "وعندما رأى (الملك أبرهة) أن الوباء قد انتشر سريعًا بين القبائل، أذِن لأتباعه من الأحباش والحميريين بالذهاب (إلى بيوتهم) بعد أن كان قد أذن بذلك للقبائل"[109].

وفي نقش سبئي آخر تم الكشف عنه قبل فترة وجيزة في معبد أوام أو محرم بلقيس، يتحدث عن أخوين قدّما قربانًا للإله السبئي ألمَقَه، بمناسبة شفاء والدهما من وباء يسميه النقش "عررن" ويعني الجرب، وهذا اللفظ معروف بالعربية، والعَرُّ: الجَرَب، عَرَّتْ الإبلُ تَعرُّ: أصابها الجرب[110]. ويمكن تأريخ هذا النقش بنهاية القرن الثاني الميلادي؛ ما يدل هنا على أن ما يسمى جائحة الطّاعون الأنطونيني قد امتدت إلى اليمن[111]. وعندنا من هذه الفترة عدة نقوش تتحدث عن الأوبئة.

وتذكر المصادر العربية أن العديد من الأوبئة والأمراض كانت موجودة في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، وأن بعضها كان متوطنًا مثل الملاريا والتراخوما والسل والجذام وأمراض معدية أخرى[112].

ويذكر المؤرخ والجغرافي اليوناني سترابو (63-23 ق. م.) Strabo بعض المعلومات عن الوضع الصحي في شبه الجزيرة العربية، والذي أرّخ لهذه الحملة إليوس جالوس Aelius Gallus. ووصف لنا سترابو حملة القائد الروماني إليوس جالوس، الذي كان قد غزا البلاد العربية السعيدة في عام 25/26 ق. م. ووصل إلى مأرب العاصمة السبئية ولم يتمكّن من دخولها بسبب انتشار الطّاعون في الجيش الروماني[113]. ويذكر سترابو أيضًا مسار حملته العسكرية التي انطلقت من مصر عبر البحر الأحمر، وحطت في البداية في الميناء النبطي لويكي كومي Leuce Come على البحر الأحمر، حيث يصف نوعين من الأمراض كانا منتشرين بين الناس، الأول يسمّى Stomakake، ويصفه بأنه نوع من الشلل حول الفم، والثاني Sceletyrbe وهو شلل يصيب الساقين، ويذكر سترابو أن إليوس جالوس كان مجبرًا على أن يقضي موسم الصيف والشتاء في انتظار شفاء المرضى من جيشه[114].

108 ألفريد بيستون [وآخرون]، **المعجم السبئي، بالإنجليزية والفرنسية والعربية** (بيروت: مكتبة لبنان؛ لوفان الجديدة: دار نشريات بيترز، 1982)، ص 23.

109 النقش موسوم تحت اسم كوربوس 541. ينظر النقش CIH 541 76-70/ في مدونة النقوش العربية الجنوبية CASI، شوهد في 2021/12/22، في: https://bit.ly/3mVIpYG

110 "ع ر ر"، **معجم الدوحة التاريخي للغة العربية**، شوهد في 2021/12/23، في: https://bit.ly/389AG4U

111 يحمل هذا النقش غير المنشور الرقم MB 2004 S I-30 وهو في حوزة الباحث وسيقوم بنشره.

112 عن الأمراض والأوبئة في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ينظر: جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج 16، ط 4 (لندن: دار الساقي، 2001)، ص 47-52؛
Manfred Ullmann, *Islamic Medicine* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1978), pp. 1-6.

113 حول حملة إليوس جالوس، ينظر:
Robert Simon, "Aelius Gallus' campaign and the Arab Trade in the Augustan Age," *Acta Orientalia Academiae Scientiarum Hungaricae*, vol. 55, no. 4 (2002), pp. 309-318.

114 Strabo, *Geography*, Horace Leonard Jones (trans.), vol, VII, Books 15-16, Loeb Classical Library, no. 241 (Cambridge: Harvard University Press, 1930), Book XVI, pp. 307-313 chapter 4, paraqgraph 2-4.

وكان الجدري والحصبة من الأمراض المعروفة في شبه الجزيرة العربية قبيل الإسلام. وتروي المصادر العربية قصة أبرهة الحبشي، حيث توجّه (في عام الفيل) إلى الكعبة وأراد هدمها ليمنع العرب من الحج إليها، وكان قد توجه بجيش جرار لغزو مكة، واصطحب معه فِيلة، وفي اليوم الثاني من وصول أبرهة انتشر في جند أبرهة داء الجدري والحصبة، وتصف المصادر العربية ذلك، وتقول إنه كان وباءَ الجدري، وإنّ هذا الوباء كان له حينئذ أوّل ظهور في بلاد العرب. ويذكر ابن هشام: "فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكون بكل مهلك على كل منهل، وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم تسقط (أنامله) أنملةً أنملةً، كلما سقطت أنملة أتبعتها منه مدة تمث قيحًا ودمًا، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه، فيما يزعمون. قال ابن إسحاق: حدثني يعقوب بن عتبة أنه حدث: أن أول ما رئيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام"[115]. ولعل سورة الفيل في القرآن الكريم تعطينا وصفًا لجيش أبرهة ولتأثيرات الوباء الذي فتك بهم.

ثالثًا: بعض الجوائح الرئيسة عبر التاريخ

يقسّم كثير من العلماء الجوائح الرئيسة (ما قبل جائحة فيروس كورونا) إلى ثلاث جوائح؛ تبدأ بطاعون جستنيان (والبعض يضع وباء أثينا والطّاعون الأنطونيني ضمن هذه الجوائح)، ثم يأتي طاعون الموت الأسود (1346-1353م)، والذي راح ضحيته نحو خمسة وعشرين مليون شخص، ويقدر البعضُ العددَ بنحو ثلث سكان أوروبا وأن هذه القارة كانت في حاجة إلى نحو مئتي عام حتى تسترجع وضعها الديموغرافي الطبيعي، وكان هذا الطّاعون قد ضرب أنحاء المشرق العربي كافة، ووصفه الكثير من المؤرخين العرب[116]، وثالثًا أوبئة القرن التاسع عشر بما فيها الطّاعون والجدري والكوليرا[117]. في هذه الدراسة سنكتفي بالإشارة إلى الطّاعون الأنطونيني وطاعون جستنيان وارتداداته الزمنية، بما فيها طاعون عمواس وطاعون اليمن أيام الملك أبرهة الحبشي[118].

اندلع وباءان رئيسان في الإمبراطورية الرومانية قبل وباء جستنيان: الطّاعون الأنطونيني (166-190م) ووباء قبريانوس (251-270م) Cyprian. في الحالة الأولى، تشير التسمية إلى اسم الإمبراطور الذي اندلعت في زمنه الجائحة، وفي الحالة الثانية اتّخذت الجائحة اسم قبريانوس (نحو258 م)، وهو اسم المؤلف الذي سجّل معظم ما نعرفه عن تلك الجائحة، وهو أسقف قرطاج المعروف قبريانوس القرطاجي Thascius Caecilius Cyprianus[119].

1. الوباء الأنطونيني

هذا الوباء معروف في الكثير من الدراسات بأنه الطّاعون الأنطونيني Antonine Plague وهو وباء قاتل، ويصفه البعض بأنه جائحة ضربت الإمبراطورية الرومانية في نهاية السلالة الأنطونينية في الفترة 166-190م، وجاءت هذه الجائحة إلى الإمبراطورية

---

115 عبد الملك بن هشام الحميري، **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ج 1، ط 2 (القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1955)، ص 50-55.

116 هناك الكثير من الدراسات حول طاعون الموت الأسود، ينظر عن تأثيراته في المنطقة العربية:
Michael W. Dols, *The Black Death in the Middle East* (Princeton: Princeton University Press, 1977).
وفي حين أننا لا نجد توثيقًا دقيقًا لطاعون الموت الأسود من خلال المؤرخين الأوروبيين المعاصرين، نجد توثيقًا جيدًا عند المؤرخين والعلماء العرب، ينظر مثلًا: محمد بن عبد الله بن الخطيب السلماني، **مُقنعة السائل عن المرض الهائل**، تحقيق وتقديم حياة قارة (الرباط: دار الأمان، 2015).

117 عن الأوبئة وتأثيراها الاقتصادية والاجتماعية في المشرق العرب أيام الدولة العثمانية، ينظر:
Nükhet Varlik (ed.), *Plague and Contagion in the Islamic Mediterranean* (Kalamazoo: Arc Humanities Press, 2017).

118 Lester K. Little (ed.), *Plague and the End of Antiquity: The Pandemic of 541-750* (Cambridge: Cambridge University Press, 2007).

119 Ibid., pp. 25-30.

الرومانية عن طريق الجنود الرومان العائدين من الشرق الأدنى خلال عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس (161-180م) Marcus Aurelius، وخلفه كومودوس (180-192م) Commodus. وتتفق المصادر على أن هذا الوباء ظهر أول مرة خلال فترة الحصار الروماني لمدينة سلوقية في العراق في شتاء عام 165/ 166م. وكانت تلك القوات الرومانية التي قاتلت البارثيين في العام نفسه هي التي قد جلبت معها الوباء إلى منطقة أرمينيا ثمّ وصل هذا الوباء القاتل إلى روما. وخلال الخمسة عشر عامًا اللاحقة إلى نحو عشرين عامًا، اجتاح هذا الوباء الكثير من أنحاء الإمبراطورية الرومانية، وأودى بحياة كثير من البشر، ومنهم الإمبراطوران لوسيوس فيروس (161-169م) Lucius Verus، وماركوس أوريليوس Marcus Aurelius[120].

هذا الوباء المعروف باسم الطّاعون الأنطونيني، هو في حقيقة الأمر ليس طاعونًا، أي ليس هو الطّاعون الدبلي، وهو أول وباء موثق على نحو جيّد، وذكره عدد من المصادر اليونانية واللاتينية، وشخّصه العلماء على أنّه الجدري. وبحسب التشخيص الذي يقدمه الطبيب الروماني المشهور جالينوس، يظهر أنّه ربما كان شكلًا من أشكال الجدري[121]. لكن بعض العلماء الذين يقرؤون الرواية نفسها، يعتقدون أنّه كان الجمرة الخبيثة أو الحصبة. تعتمد مشكلات تشخيص نوع هذا الوباء على تحليلات جالينوس الذي فسّر هذا الوباء بتأثير تشخيص المؤرخ ثيوسيديدس Thucydides لوباء أثينا[122]. وكان الإمبراطوران ماركوس أوريليوس ولوسيوس فيروس قد حشدا بالفعل قوات مهمة في شمال إيطاليا، لمواجهة تهديدات ما يسمى هجمات الشعوب البربرية في المناطق الدانوبية، وأدى هذا بدوره إلى تضرر الجنود وإصابتهم بهذا الوباء، خلال شتاء عام 168/ 169م. وهذا ما دعا الأباطرة إلى استدعاء العديد من الأطباء، بمن فيهم جالينوس، الذي بقي في إيطاليا خلال فترة تفشي الوباء، وكان واحدًا من أهم الأطباء في البلاط الإمبراطوري.

وتقول التقديرات إنّ هذا الوباء قتل ما يصل إلى ثلث السكان أو ربعهم في بعض المناطق المنكوبة في شرق المتوسط والبلقان، في الفترة 165-180م، أي نحو ما مجموعه خمسة ملايين شخص تقريبًا.

وبحسب ما ورد في المصادر، مات نحو خمسة آلاف شخص يوميًا في روما في أوج الهجمة، وكان الارتداد للهجمة الوبائية ما بين عامي 211 و266م[123]. ويؤكّد المؤرخ الروماني كاسيوس ديو (155-235م) Cassius Dio أنّ الوباء الأنطونيني تسبب في تدمير الجيش الروماني، ووفاة ما يصل إلى ألفي حالة يوميًا[124].

كان للوباء الأنطونيني ارتدادات كثيرة؛ فقد حدث وباء آخر في عهد ديكيوس (249-251م) Decius، وعهد غالوس (251-253م) Gallus. واندلع هذا الوباء في مصر (251م)، ومن ثمّ اجتاح الإمبراطورية الرومانية بأكملها، وأدّى ارتفاع معدل الوفيات فيها إلى استنزاف صفوف الجيش الروماني، وتسبب في نقص كبير في العمالة الزراعية وغيرها. كان الوباء لا يزال مستعرًا في عام 270م، وتسبب في وفاة الإمبراطور كلوديوس غوثيكوس (268-270م) Claudius Gothicus[125].

120 Hays, *Epidemics and Pandemics*, pp. 17-21.

121 Hays, p. 17.

122 Aberth, pp. 18-72.

123 Winkle, pp. 837-839.

124 Hays, p. 18.

125 Winkle, pp. 837-839.

2. طاعون جستنيان

سُميت هذه الجائحة بطاعون جستنيان نسبةً إلى الإمبراطور البيزنطي جستنيان الأول، كما ذكرنا، ويصنّف معظم العلماء هذه الجائحة بأنّها الأولى في التاريخ. وبعد القرن الثالث الميلادي لا يوجد توثيق دقيق عن الأوبئة حتى طاعون جستنيان. وكان أول اندلاع لهذا الطّاعون الدبلي عام 541م. وكان هذا الطّاعون قد ضرب أركان الإمبراطورية البيزنطية وهزّ كيانها. يتسبب في هذا الطّاعون بكتيريا تسمّى Yersinia Pestis، وهو أكثر الجوائح فتكًا بالبشرية عبر التاريخ[126]. وقد استمرت ارتداداته إلى نحو 750م[127].

وتنتقل عدوى الطّاعون الدبلي عن طريق البراغيث المصابة، وهي تصيب البشر عن طريق الفئران الحاملة للعدوى. يقتل الطّاعون الدبلي ما يصل إلى ثلثي المصابين بسرعة. وهناك نوعان آخران من الأشكال المميتة: تسمم الدم والأكثر فتكًا على الإطلاق، الطّاعون الرئوي، الذي لا يحتاج حتى إلى ناقلات الحشرات، فهو ينتشر من شخص إلى آخر مباشرة عن طريق التنفس، وتظهر آثاره على الهياكل العظمية[128].

ولا يعرف بالضبط منشأ طاعون جستنيان، ويعتقد البعض أنّه بدأ في أواسط آسيا وانتقل عبر التجارة، وخاصة عبر طريق الحرير في اتجاه الغرب[129]. ويعتقد بعض الباحثين أنّ أصل الطّاعون من شرق أفريقيا، وكان قد تركّز في إثيوبيا ثم انتقل إلى وادي النيل، ومن مصر انتقل إلى بلاد الشام حتى وصل القسطنطينية، ومنها انتشر في عالم البحر الأبيض المتوسط وأوروبا[130].

يخبرنا المؤرخ السرياني يوحنا الأفسسي (507-589م) John of Ephesus، وهو مؤرخ كنسي، أنّ طاعون جستنيان قد وصل مدينة غزة في الربع الأخير من عام 541م. ثم انتشر هذا الطّاعون شمالًا، إلى المدن الساحلية إلى عسقلان وأسدود وواصل زحفه شمالًا[131]. وفي بداية عام 542م، كانت رواية معاصرة تصف لنا انسحاب ناسك مسيحي من مدينة القدس إلى التلال المحيطة بها، هروبًا مما أسماه "الفناء الأكبر والموت الأفظع"[132]. وفي عام 542م، أغار جنود الملك الفارسي خسرو على مدينة أنطاكية ونهبوها وأخلوها من سكانها. وفي العام نفسه، وصف هجوم الطاعون بصيغة بلاغية "أغار عليها جيش من الطّاعون"، وقد اجتاح كل المنطقة. وفي مدينة أنطاكية، أصيب الناس بمرض في الفخذ والإبط وكانوا يحتضرون[133].

وكان انتقال هذا الوباء قد ازداد عبر التجارة البرية والبحرية. وكان قد انتشر سريعًا بسبب التجارة البحرية والتي تعني أيضًا "تبادلًا للعدوى إضافة إلى البضائع"، ويوصف بأنه قد كان وحشيًا على نحو خاص في المدن الساحلية في شرق المتوسط. وكانت حملات

---

126 Ibid., pp. 422-435; Aberth, pp. 20-72.

127 ينظر عن كرونولوجيا الأوبئة والمجاعات في شرق المتوسط من نحو 284 إلى 750 ميلادي الكتالوغ الخاص في:
Dionysios Ch. Stathakopoulos, *Famine and Pestilence in the Late Roman and Early Byzantine Empire,* Birmingham Byzantine and Ottoman monographs 9 (London/ New York: Routledge, 2017), pp. 177-386.

128 Aufderheide & Rodriguez-Martín, p. 196.

129 William Rosen, *Justinian's Flea: Plague, Empire and the Birth of Europe* (New York: Viking Penguin, 2007).

130 Eva Panagiotakopulu, "Pharaonic Egypt and the Origins of Plague," *Journal of Biogeography*, vol. 31, no. 2 (2004), pp. 269-275.

131 حول تطورات جائحة جستنيان وانتشارها تاريخيًا، ينظر: Stathakopoulos, pp. 110-154.

132 ينظر ما ذكرته المصادر السريانية عن هذا الوباء وارتداداته في:
Michael G. Morony, "For Whom Does the Writer Write? The First Bubonic Plague Pandemic According to Syriac Sources," in: Little, pp. 59-86.

133 عن تأثيرات جائحة جستنيان في بلاد الشام، ينظر:
Hugh N. Kennedy, "Justinianic Plague in Syria and the Archaeological Evidence," in: Little, pp. 87-95; William Rosen, *Justinian's Flea: Plague, Empire and the Birth of Europe* (New York: Penguin, 2007), p. 246.

جستنيان العسكرية مصدرًا آخر لتوسع الطّاعون. وبسبب تلك الحملات العسكرية انتشر الوباء سريعًا من آسيا الصغرى إلى أفريقيا وإلى إيطاليا ثم إلى غرب أوروبا[134].

بعد عامين من اندلاع هذا الطّاعون الدبلي، الذي بدأ في عام 541م، ضرب القسطنطينية، وقضى على نحو ربع سكان شرق البحر الأبيض المتوسط في مجزرة شنيعة. وقبل أن ينتشر إلى أوروبا الغربية ويعود مرات عدة في حركات ارتدادية أشبه بالزلازل إلى منطقة البحر الأبيض المتوسط خلال القرنين التاليين، ساد الذعر والفوضى في حياة مجتمعات المنطقة، وينعكس هذا في بعض الكتابات التاريخية[135].

كتب المؤرخ بروكوبيوس القيساري (نحو 500-565م) Procopius Caesarensis أن الموت قد ساد أثناء طاعون جستنيان في شوارع القسطنطينية، والآن استمر المرض في بيزنطة في هجمته هذه أكثر من أربعة أشهر، ووصل عدد الذين يموتون كل يوم إلى عشرة آلاف شخص، وليس هناك مكان لدفن الجثث، والفوضى والارتباك والفقر في كل مكان. حينما انتهت نوبة الطّاعون هذه، كان الكثير من سكان المدينة قد ماتوا[136].

3. طاعون عمواس

تقع بلدة عَمْواس (وتقرأ أيضًا عِمْواس) إلى الغرب من مدينة القدس على الطريق إلى يافا[137]. وتوصف في كتب التاريخ العربي بأنها أرض الأردن وفلسطين عام ثمانية عشر للهجرة، ويُعتبر طاعون عمواس من الحركات الارتدادية لطاعون جستنيان[138]. وعرف عام 18هـ/ 639م في التاريخ الإسلامي بطاعون عمواس الذي مات فيه يزيد بن أبي سفيان والي دمشق فخلفه أخوه معاوية، كما مات فيه الصحابي أبو عبيدة عامر بن الجراح، ومات في هذا الطّاعون نحو خمسة وعشرين ألفًا[139].

ووصف ياقوت الحموي عمواس بأنّها: "ضيعة جليلة على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس، ومنها كان ابتداء الطّاعون في أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، ثم فشا في أرض الشام فمات فيه خلق كثير لا يحصى من الصحابة، رضي الله عنهم، ومن غيرهم"[140].

ولما كان طاعون عمواس، خطب عمرو بن العاص فى الناس، وقال: "يا أيها الناس إنّ هذا الطّاعون قد ظهر، وإنّما هو وخز من الشياطين فَفرُّوا مِنْهُ في الشعاب". وَبلغ معاذ بن جبل فأنكر عليه هذا القول فما لبث أنْ مات فيه. وكانت العرب تؤرخ بالطواعين ومنها تواريخ كطاعون عمواس وطاعون العذارى وطاعون الأشراف. وكانت العرب تسمي الطّاعون رماح الجنّ، وجاء فى الحديث

134 Rosen.

135 Little.

136 Procopius, *History of the Wars: The Persian Wars*, vol. 2, H. B. Dewing (trans.), Loeb Classical Library 48 (Suffolk: Harvard University Press, 1962), p. 22.

137 كانت قرية عمواس عامرة إلى عام 1967 حين دمرها الإسرائيليون وطردوا أهلها.

138 Byrne, pp. 534-535.

139 قصة طاعون عمواس تتكرر في الكثير من كتب التراث، ينظر: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج 19 (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 2002)، ص 354-355.

140 شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، **معجم البلدان**، ج 4، ط 2 (بيروت: دار صادر، 1995)، ص 157-158.

الشريف: "إنّه وخز أعدائكم من الجنّ"(141). ويدلنا الحديث النبوي كيف تعامل العرب مع الطاعون، فقد جاء في الحديث النبوي الذي اعتمد عليه المسلمون أنّ رَسول اللَّه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَال: "إِذَا وَقَعَ الطَّاعُون بِأَرْضٍ فَلا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلا تَخْرُجُوا مِنْهَا"(142).

رابعًا: أوبئة غيّرت مسار التاريخ: التأثيرات الاقتصادية والاجتماعية للأوبئة

في البداية، تجدر الإشارة إلى أن جائحة جستنيان، وما كان لها من تأثير في البنية الاقتصادية ومجتمعات شرق المتوسط وإيران، أدّت إلى انتشار المجاعات والجفاف في كثير من أنحاء المنطقة(143). ولعل هذا الأمر قد سهّل "الفتوحات الإسلامية" وسمح لها بالانتصار السريع والسيطرة على تلك المنطقة، حيث كانت بنية الدولة الساسانية والبيزنطية مهلهلة، وقواها العسكرية ضعيفة، بسبب ارتدادات جائحة جستنيان. وعلى الرغم من وصول هذه الجائحة إلى اليمن والحجاز، فإن الوضع كان خفيفًا مقارنة ببلاد الشام والعراق(144).

سنكتفي في هذه الدراسة، من أجل إيضاح مسألة التأثيرات الاقتصادية والاجتماعية، بعرض نموذجين فقط. الأول هو ما يسمّى المدن المنسيّة في سورية، وتسمى أحيانًا في الدراسات الأثرية المدن الميّتة، وتقع ضمن الحدود الإدارية لمحافظتَي حلب وإدلب، وتمتد من جبل سمعان جنوب عفرين، وتشمل أجزاء من محافظة إدلب وجبل الزاوية شرق نهر العاصي، وتمتد حتى أفاميا جنوبًا، ومنها مدينة البارة وسرجِلّه وقلب لوزة وقلعة سمعان. وازدهرت نحو 700 قرية ومدينة في سورية منذ القرن الرابع الميلادي، وهجرت في القرن السادس وبداية السابع الميلاديين. وحافظ كثير من مباني هذه البلدات، وشوارعها وكنائسها ومقابرها، على شكله على نحو شبه كامل، ولا يبدو من خلال التحريات الأثرية أنّها قد حرقت أو دمرت بسبب حرب(145). وقد اختلف العلماء في بيان سبب ترك أهل هذه البلدات لها. والتحليلات السائدة هي أنّ ذلك يعود إلى أسباب اقتصادية أو الحملات العسكرية الساسانية أو بسبب الفتح الإسلامي، ومنهم من قال إنّ هذه البلدات كانت تعتمد في حياتها على إنتاج الخمر، وأنّ سوق الخمر قد ضربت في شرق المتوسط. وافترض القليل من هؤلاء الباحثين أنّ الأمر يعود إلى وباء أو زلزال. ويبدو أنّ السبب الرئيس كان جائحة جستنيان التي اجتاحت المنطقة ابتداء من 541م، وكان لها ارتداداتها اللاحقة التي تسببت في هجر هذه البلدات(146).

141 Conrad, p. 298; Dols, pp. 21-25; R. S. Bray, *Armies of Pestilence: The Impact of Disease on History* (New York: Barnes & Noble Books, 2000), pp. 39-40.

فيما يخص الحديث، ينظر: محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق عبد الستار أحمد فراج [وآخرون]، مج 1 (الكويت: دار الهداية، 1965)، ص 478.

142 أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق شعيب الأرنؤوط [وآخرون]، ج 3 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2001)، ص 116 (رقم الحديث: 1536).

143 عن المجاعات في منطقة شرق المتوسط، ينظر: Stathakopoulos.

144 Dols, pp. 13-67; Bray, pp. 28-34.

145 ينظر: Kennedy, pp. 87-95.
حيث يُرجع صاحب المقال انهيار الحياة في البلدات المهجورة إلى أسباب مختلفة، ويشير إلى أنّ الجائحة قد تكون أحدها.

146 Clive Foss, "Dead Cities of the Syrian Hill Country," *Archaeology*, vol. 49, no. 5 (1996), pp. 48-53.

وأمّا النموذج الثاني فهو مثال للأوبئة التي غيّرت مسار التاريخ، والذي نعرضه في هذه الدراسة في محاولة لفهم أسباب انهيار حضارات العصر البرونزي الأخير (1300-1200 ق. م.) كدراسة حالة. كنّا قد ذكرنا أنّ علماء دراسات الشرق القديم لم يركّزوا على التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ولم يعيروا علاقة علم الأوبئة بكتابة التاريخ الاهتمام إلا على نحوٍ محدود، ولم يهتم العلماء حتى الآن بالتأثيرات الاقتصادية والاجتماعية للأوبئة في بنية المجتمعات، وما كانت تسببه تلك الأوبئة من تخلخلات سكانية، وما يتعلق بذلك من تأثير شديد في قوى الإنتاج وتعطيلها، وما قد يؤدي بدوره إلى هجرات بشرية. وفي الحصيلة، لا بدّ لنا من دراسة الدور الذي تؤديه هذه التخلخلات الاقتصادية والاجتماعية في انهيار الحضارات أو الأسر الحاكمة والممالك. وعلينا أن نتصور أنّ تأثير الأوبئة في المجتمعات القديمة أو مجتمعات ما قبل العصر الحديث حتى القرن التاسع عشر كان، بالتأكيد، يتجاوز كثيرًا مما نجده في كتب التاريخ. ولعل منهجية دراسة التأثيرات الوبائية في إطار دراسة تاريخية، أثرية، لغوية، طبية، اجتماعية، أنثروبولوجية واقتصادية، ستساعد في فهم مسألة انهيار الحضارات الكبرى في العصر البرونزي المتأخر.

شهدت نهاية العصر البرونزي المتأخر (1300-1200 ق. م.) انتشارًا واسعًا للأوبئة في أنحاء مختلفة من الشرق الأدنى القديم، وكان لها تأثير كبير في حياة الناس ومجتمعات المنطقة[147]. وشهدت هذه الفترة انهيار العديد من المراكز الحضارية الكبيرة، التي تخضع أسبابها للنقاش المستمر مند عشرات السنين، فقد انهارت الدولة البابلية والدولة الآشورية والممالك الكنعانية، وانهارت مملكة أوغاريت والإمبراطورية الحِثّيّة، وانتهت الإمبراطورية المصرية الحديثة، وانهارت الحضارة الميسينية في شرق المتوسط في هذه الفترة، كما انهار النظام الدولي في الشرق القديم، وانهارت شبكة الطرق التجارية. ولعل القرن الرابع عشر قبل الميلاد، يعدّ من أهم مراحل هذا العصر البرونزي المتأخر حيوية، وتشهد بذلك مراسلات تل العمارنة بين ملوك الشرق القديم، حكام بلاد الشام مع الفراعنة المصريين، وانتهت في نهاية هذا العصر اللغة الأكادية كلغة تواصل دولي في الشرق القديم[148].

ومنذ عشرات السنين يناقش العلماء أسباب انهيار النظام الدولي وانهيار تلك الحضارات في العصر البرونزي الأخير. وغالبًا ما يوجه إصبع الاتهام، عند معظم الباحثين، إلى مجموعة من الشعوب التي زحفت في اتجاه شرق المتوسط، والتي تسمى شعوب البحر، ومنهم الفلستين والشردن وغيرهم. ويُرجِع معظم الدراسات انهيار الإمبراطورية الحِثّيّة ومملكة أوغاريت إلى شعوب البحر. ومن النظريات الحديثة التي ظهرت في السنوات الأخيرة فرضيات التغير المناخي والزلازل. وأرجع بعض العلماء الانهيار إلى اكتشاف الحديد واستخدامه في صناعة السلاح، ومن ثمّ استخدامه من مجموعات معينة للسيطرة على مناطق أخرى، وعن طريقه تمّ إسقاط الإمبراطوريات. ومن أهم الدراسات الحديثة عن الموضوع كتاب إيرك كلين الذي يلخص الدراسات والنظريات السابقة، ويضع تاريخًا دقيقًا لانهيار تلك الحضارات عام 1177 ق. م. وقد أرجع عوامل الانهيار إلى الحروب، وأعطى احتمالًا للكوارث الطبيعية وغيرها، ولكنه لم يعط الأوبئة اهتمامًا، بوصفها سببًا رئيسًا لانهيار تلك الحضارات[149].

ولكنّ دراسة إيرك كلين قد أصبحت الآن تصنّف في الدراسات التقليدية. وقليلون من وظّفوا دراسة تاريخ الأوبئة ودورها في التغيرات التاريخية. ولعل من أهم الإسهامات الجديدة في دراسة علم التاريخ، والنظرية التاريخية وعلم الأوبئة، الدراسة التي قدمها فيليب نُورّي، والتي حسمت، إلى حدّ ما، مسألة انهيار الحضارات الكبرى في الشرق القديم في العصر البرونزي. فبناء

147 عن الكوارث الطبيعية والأوبئة في الشرق القديم عمومًا، ينظر: Robertson, pp. 27-35.

148 Eric H. Cline, *1177 B.C.: The Year Civilization Collapsed*, Turning Points in Ancient History (Princeton: Princeton University Press, 2015).

149 Ibid.

على دراسة نورّي الموثّقة توثيقًا جيدًا، فإنّ الأوبئة قد أدّت الدور الأساس في انهيار هذه الحضارات، وليست الحروب ولا شعوب البحر. وعلى ما يبدو، فات المؤرخين أنّ تلك الأمراض الوبائية المعدية قد تكون هي العامل الأساس في انهيار الحضارات الكبرى في العصر البرونزي المتأخر[150].

وتفيد الدراسة المتأنّية لما شهده نهاية العصر البرونزي المتأخر في الشرق الأدنى سيطرة قوية للأوبئة التي ازداد هجومها على المنطقة في الفترة المذكورة. وهذه الأوبئة، التي عمّت الشرق القديم وشرق المتوسط، كان لها، بالتأكيد، تأثيراتها الاجتماعية والاقتصادية. وكان لهذه الأوبئة القدرة على الاستمرار فترة طويلة، وهي من الأوبئة الفتاكة والقاتلة والواسعة الانتشار، ولديها قدرات ارتدادية سريعة وكثيرة، وكان قد رافقها تحطيم البنية الزراعية والفلاحية وتحطيم أنظمة الري، إضافة إلى ما رافقها من انتشار للمجاعات كما ورد في رسالة الملك الحثّي إلى الفرعون المصري طالبًا إرسال القمح مثلما سبقت الإشارة إلى ذلك. كذلك، كان الطبيب اليوناني أبقراط في عام 460 ق. م. قد وصف وباء الجدري بأنّه أكثر الأمراض انتشارًا تقريبًا، وبأن تأثيراته دائمًا قاتلة. وهكذا فإن تلك الأوبئة المذكورة سابقًا مرشحة لأن تكون سببًا، وعاملًا مركزيًا في إنهاء العصر البرونزي والمراكز الحضارية في الشرق القديم. ويمكن أن تكون المجاعة، أيضًا، سببًا في الهجرات الجماعية التي كانت من سمات العصر البرونزي الأخير، وقد يكون الطاعون من الأوبئة التي سببت حركة شعوب البحر وهجرتهم من أرضهم للبحث عن مناطق جديدة للحصول على الطعام في شرق المتوسط. وما يعرف بوباء الحثيين في هذه الفترة، الذي أنهى الإمبراطورية الحثّيّة، يمكن فهمه في هذا السياق. وبهذا، يمكن استنتاج أن هذه الأوبئة هي المسؤولة عن كثير من الأحداث التاريخية الكبرى؛ أي الأحداث التي لها دلالة كافية لتغيير مسار التاريخ، مثل نهاية العصر البرونزي وإنهاء إمبراطوريات العصر البرونزي[151].

وغالبًا ما يطلق على الفترة ما بين القرن الثاني عشر وبداية القرن العاشر قبل الميلاد، بالفترة المظلمة في الشرق القديم. وفي مصر تسمى الفترة الانتقالية. وكانت الحضارات الكبرى مثل بلاد ما بين النهرين ومصر عندها القدرة على إعادة بنائها الذاتي، بسبب مخزون الذاكرة الثقافية الضخمة[152]. وقد استمرت الفترة المظلمة نحو مئتي عام حتى استطاعت هذه الحضارات بناء نفسها، أي نحو بداية الألف الأول قبل الميلاد. وبسبب انهيار حضارات العصر البرونزي، حصل خلل في توزيع السكان أدى إلى هجرات وتحركات بشرية، خاصة في شرق المتوسط وبلاد الشام، حيث ظهرت ابتداء من العصر الحديدي، أي بداية الألف الأول قبل الميلاد، تشكيلات وكيانات جديدة على أنقاض حضارات العصر البرونزي، وهي أشبه بممالك المدن، منها ممالك الآراميين والفينيقين والعبرانيين والفلستين والعمونيين والمؤابيين والأدوميين وغيرهم، وفي إطار التحركات البشرية الجديدة ظهرت ممالك عرب الجنوب كالمملكة السبئية.

150 ينظر مناقشة فيليب نورّي لمسالة أوبئة العصر البرونزي الأخير وتأثيرها في انهيار الحضارات، في: Norrie, pp. 61-101.

151 عن دور الأوبئة في انهيار الإمبراطورية الحثية، ينظر: Ibid., pp. 37-59.

152 يان أسمن، **الذاكرة الحضارية: الكتابة والذكرى والهوية السياسية في الحضارات الكبرى الأولى**، ترجمة عبد الحليم عبد الغني رجب (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2003).

خاتمة

كشفت هذه الدراسة أنّ البشرية أنّ البشرية عانت عبر التاريخ كثيرًا من الأوبئة والجوائح، وأنها استطاعت أن تتخطّاها وإن كان ذلك أحيانًا بصعوبة بالغة في عصور ما قبل الطب واللقاحات، بحيث استطاعت حضارة العصر الحديث أن تقضي على كثير من الأوبئة أو تحاصرها. من خلال استعراض المادة التاريخية المتعلقة بالجوائح والأوبئة، أظهرت الدراسة أهمية دراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي من منظور بينتخصصي مع الأخذ في الاعتبار علم دراسة الأوبئة. وتوصي الباحثين العرب بأن يزدادوا اهتمامًا بدراسة الموروث الطبّي للشرق القديم ويستخدموا التوثيق الضخم للتجربة الإنسانية في بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام وشبه الجزيرة العربية ومصر في دراساتهم، وأن يتوجهوا إلى دراسة تاريخ الطب العربي - الإسلامي في سياقه التاريخي، فالطب عند العرب لم يبدأ مع انفتاحهم على اليونان، بل كانت له جذور تاريخية محلية سابقة.

المراجع References

العربية

أسمن، يان. **الذاكرة الحضارية: الكتابة والذكرى والهوية السياسية في الحضارات الكبرى الأولى.** ترجمة عبد الحليم عبد الغني رجب. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2003.

باقر، طه. **موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة العربية الإسلامية.** بغداد: مطبعة جامعة بغداد، 1980.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي. **معجم البلدان.** ج 4. ط 2. بيروت: دار صادر، 1995.

الحميري، عبد الملك بن هشام. **السيرة النبوية.** تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي. ج 1. ط 2. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1955.

داليو، كريستيانو. **الطب عند الفراعنة: أمراض - وصفات طبية - خرافات ومعتقدات.** ترجمة ابتسام محمد عبد المجيد. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2013.

روبان، كرستيان وبوركهارد وفوغت (محررون). **اليمن: في بلاد مملكة سبأ.** باريس: معهد العالم العربي، 1999.

الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى. **تاج العروس من جواهر القاموس.** تحقيق عبد الستار أحمد فراج [وآخرون]. مج 1. الكويت: دار الهداية، 1965.

السلماني، محمد بن عبد الله بن الخطيب. **مُقنعة السائل عن المرض الهائل.** تحقيق وتقديم حياة قارة. الرباط: دار الأمان، 2015.

الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل. **مسند الإمام أحمد بن حنبل.** تحقيق شعيب الأرنؤوط [وآخرون]. ج 3. بيروت: مؤسسة الرسالة، 2001.

علي، جواد. **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.** ج 16. ط 4. لندن: دار الساقي، 2001.

كمال، حسن. **الطب المصري القديم.** ط 3. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.

مانكه، ليز. **التداوي بالأعشاب في مصر القديمة.** ترجمة أحمد زهير أمين ومحمود ماهر طه. القاهرة: مكتبة مدبولي، 2008.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب. **نهاية الأرب في فنون الأدب.** ج 19. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 2002.

الأجنبية

Aberth, John. *Plagues in World History.* Lanham: Rowman & Littlefield, 2011.

Adamson, Peter B. "Human Diseases and Deaths in the Ancient Near East." *Die Welt des Orients*. no. 13 (1982).

Aufderheide, Arthur C. & Conrado Rodriguez-Martín. *The Cambridge Encyclopedia of Human Paleopathology.* Cambridge: Cambridge University Press, 1998.

Benedictow, Ole J. *What Disease was Plague? On the Controversy over the Microbiological Identity of Plague Epidemics of the Past.* Brill's Series in the History of the Environment. Leiden: Brill, 2011.

Black, Jeremy A. & Anthony Green. *Gods, Demons, and Symbols of Ancient Mesopotamia: An Illustrated Dictionary.* London: British Museum Press, 1992.

Bray, R. S. *Armies of Pestilence: The Impact of Disease on History.* New York: Barnes & Noble Books, 2000.

Brown, Simon & David C. Simcock. "Leprosy in Mesopotamia." *Research on History of Medicine.* vol. 1, no. 4 (2012).

Byrne, Joseph P. *Encyclopedia of Pestilence, Pandemics, and Plagues*. vol. 2. London: Greenwood Press, 2008.

Cline, Eric H. *1177 B.C.: The Year Civilization Collapsed.* Turning Points in Ancient History. Princeton: Princeton University Press, 2015.

Conrad, Lawrence I. "Tā'ūn and Wabā: Conceptions of Plague and Pestilence in Early Islam." *Journal of the Economic and Social History of the Orient*. vol. 25, no. 3 (January 1982).

Dawson, Warren R. "Herodotus as a Medical Writer." *Bulletin of the Institute of Classical Studies.* no. 33 (1986).

Dols, Michael W. *The Black Death in the Middle East.* Princeton: Princeton University Press, 1977.

Foss, Clive. "Dead Cities of the Syrian Hill Country." *Archaeology*. vol. 49, no. 5 (1996).

Freedman, David N. (ed.), *The Anchor Bible Dictionary*. vol. 6. New York: Doubleday, 1992.

Geller, Markham J. *Ancient Babylonian Medicine: Theory and Practice.* London: Wiley, 2015.

George, Andrew. *The Epic of Gilgamesh: A New Translation.* Harmondsworth/ Middlesex: Penguin, 2000.

Grauer, Anne L. *A Companion to Paleopathology.* London: Wiley-Blackwell, 2011.

Hallo, William W. *Context of Scripture.* vol. 1. Leiden: Brill, 1997.

_______. *The World's Oldest Literature: Studies in Sumerian Belles-Lettres.* Culture and History of the Ancient Near East. vol. 35. Leiden: Brill, 2010.

Hays, J. N. *Epidemics and Pandemics: Their Impacts on Human History.* Santa Barbara: ABC-CLIO, 2005.

Heimpel, Wolfgang. *Letters to the King of Mari: A New Translation, with Historical Introduction, Notes, and Commentary.* Mesopotamian Civilizations 12. Winona Lake: Eisenbrauns, 2003.

Herodotus, *The Histories of Herodotus*. Book 1. A. D. Godley (ed.). Cambridge, MA: Cambridge University Press; London: W. Heinemann, 1975.

Hornung, Erik, Rolf Krauss & David A. Warburton (eds.). *Ancient Egyptian Chronology,* Handbook of Oriental Studies. Section 1 The Near and Middle East 83. Leiden/ Boston: Brill, 2006.

Horstmanshoff, Herman F. J. & Marten Stol (eds.). *Magic and Rationality in Ancient Near Eastern and Graeco-Roman Medicine.* Studies in Ancient Medicine. vol. 27. Leiden: Brill, 2004.

Imhausen, Annette & Tanja Pommerening (eds.). *Translating Writings of Early Scholars in the Ancient Near East, Egypt, Greece and Rome: Methodological Aspects with Examples.* Beiträge zur Altertumskunde, Bd. 344. Berlin: de Gruyter, 2016.

Kozloff, Arielle P. *Amenhotep III: Egypt's Radiant Pharaoh.* Cambridge: Cambridge University Press, 2012.

Lambert, Wilfred G. & Alan R. Millard. *Atra-Ḫasīs: The Babylonian Story of the Flood.* Oxford: Oxford University Press, 1969.

Little, Lester K. (ed.). *Plague and the End of Antiquity: The Pandemic of 541-750.* Cambridge: Cambridge University Press, 2007.

McNeill, William H. *Plagues and Peoples.* New York: Anchor Books, 1998.

Michaelides, Demetrios (ed.). *Medicine and Healing in the Ancient Mediterranean World.* Oxford: Oxbow Books, 2014.

Moran, William L. *The Amarna Letters.* Baltimore: Johns Hopkins University Press,1992.

Morens, David M., Gregory K. Folkers & Anthony S. Fauci. "What Is a Pandemic?" *The Journal of Infectious Diseases*. vol. 200, no. 7 (October 2009).

Norrie, Philip. *A History of Disease in Ancient Times: More Lethal than War.* Missoula, MA: Palgrave Macmillan, 2016.

Nunn, John F. *Ancient Egyptian Medicine.* London: British Museum, 2006 [1996].

Panagiotakopulu, Eva. "Pharaonic Egypt and the Origins of Plague." *Journal of Biogeography.* vol. 31, no. 2 (2004).

Rainey, Anson F. *The El-Amarna Correspondence: A New Edition of The Cuneiform Letters from The Site of El-Amarna Based on Collations of All Extant Tablets*. William M. Schniedewind & Zipora Cochavi-Rainey (eds.). Handbook of Oriental Studies. vol. 110. Leiden: Brill, 2015.

Procopius. *History of the Wars: The Persian Wars.* vol. 2. H. B. Dewing (trans.). Loeb Classical Library 48. Suffolk: Harvard University Press, 1962.

Reiner, Erica. "Plague Amulets and House Blessings." *Journal of Near Eastern Studies*. vol. 19, no. 2 (1960).

Robertson, Warren C. *Drought, Famine, Plague and Pestilence: Ancient Israel's Understandings of and Responses to Natural Catastrophes.* Gorgias Dissertations in Biblical Studies 45. Piscataway: Gorgias Press, 2010.

Robin, Christian. "Guerre et épidémie dans les royaumes d'Arabie du sud, d'après une inscription datée (IIe siècle de l'ère chrétienne)." *Comptes rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.* 136ème année, no. 1 (January-March 1992).

Rosen, William. *Justinian's Flea: Plague, Empire and the Birth of Europe.* New York: Penguin, 2007.

Sasson, Jack M. *From the Mari Archives: An Anthology of Old Babylonian Letters.* Winona Lake: Eisenbrauns, 2015.

Scurlock, Joann A. & Burton R. Andersen. *Diagnoses in Assyrian and Babylonian Medicine.* Urbana: University of Illinois Press, 2005.

Scurlock, JoAnn. *Sourcebook for Ancient Mesopotamian Medicine.* Atlanta: Society of Biblical Literature, 2014.

Simon, Robert. "Aelius Gallus' campaign and the Arab Trade in the Augustan Age." *Acta Orientalia Academiae Scientiarum Hungaricae*. vol. 55, no. 4 (2002).

Singer, Graciela G. "Beyond Amarna: The 'Hand of Nergal' and the Plague in the Levant." *Ugarit Forschungen.* vol. 48 (2017).

Smith, Nicole Elizabeth. *The Paleoepidemiology of Malaria in the Ancient Near East.* Arkansas: University of Arkansas, 2015.

Snell, Daniel C. "Plagues and Peoples in Mesopotamia." *Journal of the Ancient Near Eastern Society*. vol.14, no. 2 (1982, Published in 1985).

Stathakopoulos, Dionysios Ch. *Famine and Pestilence in the Late Roman and Early Byzantine Empire.* Birmingham Byzantine and Ottoman monographs 9. London/ New York: Routledge, 2017.

Steinert, Ulrike (ed.). *Assyrian and Babylonian Scholarly Text Catalogues: Medicine, Magic and Divination*. Babylonisch-Assyrische Medizin. vol. 9. Berlin: de Gruyter, 2018.

Stieglitz, Robert B. "A Physicians Equipment List from Ugarit." *Journal of Cuneiform Studies*. vol. 33, no. 1 (January 1981).

Strabo. *Geography*. Horace Leonard Jones (trans.). Books 15-16. Loeb Classical Library, no. 241. Cambridge: Harvard University Press, 1930.

Streck, Michael P. (ed.). *Reallexikon der Assyriologie und Vorderasiatischen Archäologie.* vol. 10. Berlin: De Gruyter, 2003.

Ullmann, Manfred. *Islamic Medicine.* Edinburgh: Edinburgh University Press, 1978.

Varlik, Nükhet (ed.). *Plague and Contagion in the Islamic Mediterranean.* Kalamazoo: Arc Humanities Press, 2017.

Wilson, James V. K. "Leprosy in Ancient Mesopotamia." *Revue d'Assyriologie et d'archéologie orientale*, vol. 60, no. 1 (1966).

Winkle, Stefan. *Kulturgeschichte der Seuchen.* Frechen: Komet, 1999.

Zucconi, Laura M. *Ancient Medicine: From Mesopotamia to Rome.* Grand Rapids: Eerdmans, 2019.